HARLEQUIN

236

روايات أحلام

خطايا بريئة

آن ميثر

WWW.ELROMANCIA.COM
مرمورية

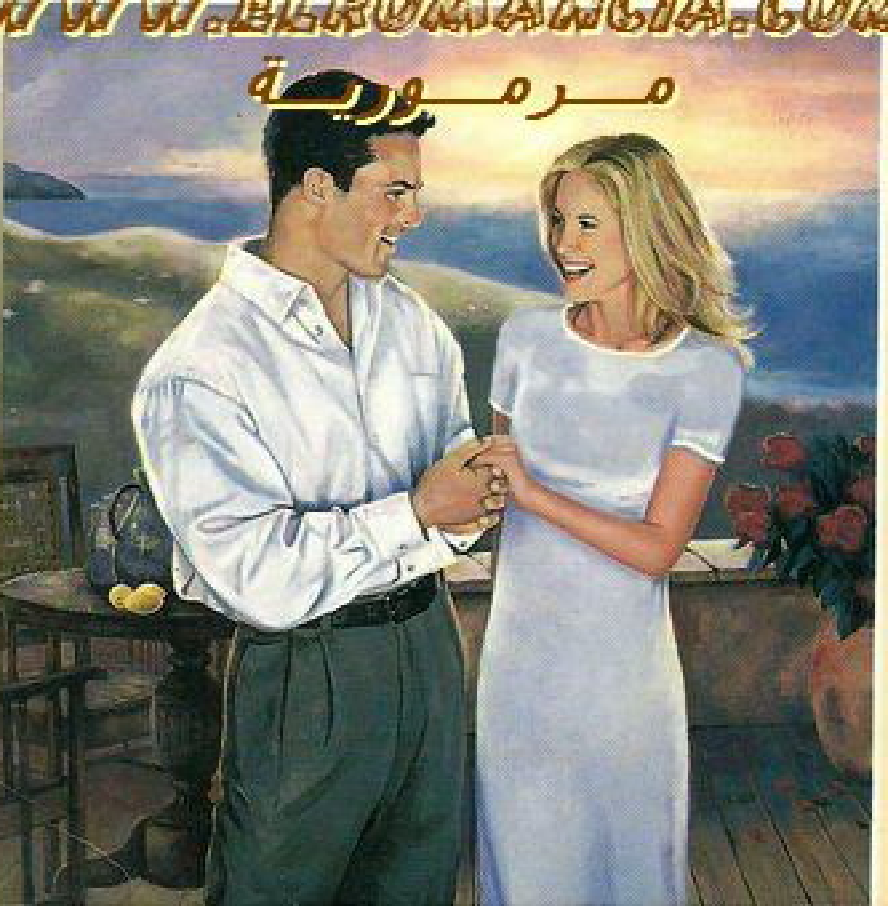

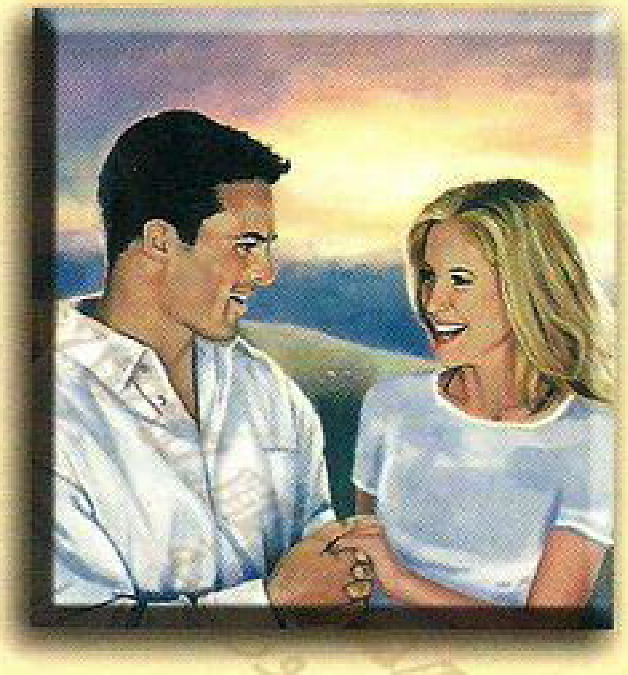

خطايا بريئة

ما زالت ذكريات ليلة صيف قديمة العهد تعذّب لاورا نيل ...
وقتذاك أغرمت بأوليفر كيمب وظنت أنها اكتشفت حب
حياتها الحقيقي !
بعد ثماني سنوات التقيا تحت سقف البيت الذي جمعهما
مرة . في حياتها هي ذكرى رجل آخر ,وفي حياته هو امرأة
يحبها ...فقد ظنت أن باستطاعتها تخطي الماضي ، لكنها
أدركت أن تأثيره فيها ما زال كبيراً ...

آن ميـثر

بدأت آن ميثر بالكتابة منذ طفولتها وتطوّرت أعمالها تدريجياً من روايات المراهقين الغرامية العاصفة إلى روايات الحب المتّزنة التي تهوى مطالعتها. وهي متزوّجة وأمّ لولدين، يعيشون معاً في شمال إنكلترا. تستمتع آن ميثر إلى جانب الكتابة بهواياتٍ عديدة، منها المطالعة وقيادة السيّارات والسفر إلى أماكن مختلفة حيث تعثر على أفكارٍ لرواياتٍ جديدة. تعتبر آن ميثر نفسها محظوظة جداً بممارسة عملٍ لا تستمتع به فقط، بل يدرّ عليها المال كذلك.

١ ـ حالة طارئة

تناهى إلى مسامع أوليڤر رنين جرس الهاتف وهو يصعد السلالم المنخفضة المؤدية إلى الباب الأمامي. وكان النور يشع من الكوة فوق الباب، وينير أكوام الثلج الهشة التي جمعها توماس في وقت مبكر من اليوم.. لكن، بالرغم من أنه كان واثقاً أن خادمه موجود في المنزل، بدا له أن الرجل العجوز لن يرد على المكالمة الهاتفية.

ذلك يعني أن أوليڤر يعرف هوية المتصل. فهو يظن بدون شك أنها أمه.. ذلك أن ستيلا عندما تتصل طوال اليوم دون انقطاع، يفضل توماس أن يتجاهل اتصالاتها. فهو وستيلا لم يتحابا يوماً.. وبما أن أمه كانت تتوقع عودته صباح الأمس فعلى الأرجح هي متلهفة لسؤاله عن رحلته. أم لا..

واسترخى فم أوليڤر بابتسامة ساخرة وهو يدس مفتاحه في قفل الباب.. حسب تجربته، نادراً ما تهتم ستيلا بأي شيء لا يتعلق بها مباشرة.. وبما أنها اتصلت مراراً وتكراراً طوال اليوم، فعلى الأرجح أن هناك مسألة شخصية تشغل بالها.

كان الدفء الذي رافق فتح الباب مرحباً ومضيافاً.. لقد تمنّى أوليڤر ألا يعود إلى لندن في زوبعة طقس الشتاء القارس هذا، خاصة بعدما أمضى الأسابيع الثلاثة الأخيرة وهو يستمتع بحرارة أدغال ماليزيا الشديدة.

ـ سيد أوليڤر!

وضع أوليفر الحقيبة التي تحتوي على آلة التصوير ومعداتها في الداخل، وأغلق الباب، ثم استند عليه ليرتاح لحظة. . عادة لا يتوقف ليبدي إعجابه بأناقة منزله الجورجي الطراز ذي الطوابق الأربع، لكنه كان دائماً يشعر بالراحة عندما يلاحظ أن شيئاً لم يتغير أثناء غيابه.

ـ توقعت عودتك بالأمس سيد أوليفر.

ـ تأخرت الطائرة في مغادرة سنغافورة. كما أن عاصفة ثلجية اجتاحت أوروبا الغربية في الساعات الأربع والعشرين الماضية. . لكن، هاي، لا تدع هذا يزعجك. . فما أروع أن أراك مجدداً.

استقام توماس، وهو على وشك أخذ حقيبة الظهر، وحقيبة الملابس من يد سيده. . وقال بصدق ظاهر:

ـ أوه. . أنا آسف سيد أوليفر. . إن عودتك تسعدني طبعاً. . لكن. . أخشى أن حالة طارئة استجدّت أثناء غيابك.

ـ ماذا الآن؟

كان أوليفر يعي أن مزاجه لا يسمح بتحمل إحدى أزمات أمه. . فعندما يتعلق الأمر بستيلا، هناك دائماً أشياء طارئة.

قال توماس: «أمك تحاول الاتصال بك منذ ثمانٍ وأربعين ساعة».

وصمت قليلاً. . وتساءل أوليفر للحظة عما إذا كان للاورا علاقة في هذا. . فابنة زوج أمه، أو أخته بالتبني، طالما كانت شوكة في خاصرة أمه. . لكنها رحلت لتعيش في الولايات المتحدة، منذ سبع سنوات تقريباً. . وتابع توماس بلطف: «يؤسفني أن أبلغك أن زوج أمك مات منذ يومين. . ولقد حاولت السيدة ويليامز جاهدة الاتصال بك».

وتلاشى سلام أوليفر.

ـ إذن، لهذا السبب ترفض الردّ على رنين الهاتف؟

ردّ توماس بلهجة دفاعية: «حسن جداً. . أجل. . فقد أهانتني السيدة ويليامز واتهمتني أنني أرفض أن أبلغك الرسالة. . ولم تصدق أنني أجهل مكان وجودك».

علت وجه أوليفر تكشيرة ساخرة. . فهو يعرف أن أمه لا بد قالت أشياء مزعجة لتوماس حتى تجاهل مخابراتها.

لقد كان مسافراً منذ ثمانٍ وأربعين ساعة. . وهو متعب ويرغب في حمام ساخن، قبل أن يتهالك في السرير. . لكنه الآن مضطر للذهاب إلى أمه، ويستطيع أن يتصور كم سيكون هذا مرهقاً له.

قال وقد تخلى عن كل أمل له بالراحة: «من الأفضل أن أتصل بها».

قال لتوماس: «هلاّ وضبت لي بعض الملابس الداخلية النظيفة في حقيبة الظهر فمن الأفضل أن أكون مستعداً في حال اضطررت للسفر إلى بينمادوك».

قال توماس بارتياع: «وهل تقول إنك ستقود السيارة إلى بينمادوك، هذه الليلة!».

ـ قد لا يكون أمامي خيار آخر.

ودخل الغرفة المضاءة إلى يساره عند رأس السلم؛ الطابق الأول من المنزل كان مخصصاً لمكتبة أوليفر، أمّا الطابق الثاني فيضمّ غرفة جلوس مريحة، إضافة إلى غرفة نومه وغرفتين أخريين. .

ووقف توماس يهز رأسه. فأكمل: «لكنني أحتاج إلى قليل من الدعم. . سأتناول سندويشاً وبعض الشاي قبل أن أرحل. . أعدك. . ».

بدا عدم ارتياح توماس جلياً. . ولكنه، منذ بدأ العمل لدى أوليفر منذ ثماني سنوات، تعلم متى يتراجع.

وترك مخدومه يقوم بالاتصال الهاتفي، وتابع طريقه إلى الطابق الثاني، وسمعه أوليفر يفتح الأدراج ويقفلها.

بدا له أن جرس الهاتف سيستمر في الرنين إلى الأبد قبل أن يرد عليه أحد. .

تخيّل صوت الجرس يتردد في الردهة القديمة الطراز، بسقفها المكسو بألواح الخشب وأرضها المصقولة غير المستوية. . ولم يستطع أبداً أن يتذكر أنه أحس بالدفء يوماً في بينمادوك في الشتاء. وكانت لاورا

تقول إن المنزل مسكون بالأرواح، وهو في صغره كان يصدق هذا.

لاورا. .

ـ پنمادوك هال.

صوت نبرته قوية قاطع أفكاره. . وقال: «أوه. . مرحباً. أنا أوليڤر كيمب. . هل أمي هنا؟».

ـ أوليڤر. .

وأصبح الصوت الآن مألوفاً له. وبدت إلبانور (نيل) تنباي لطيفة بشكل مدهش للمرة الأولى: «ستسعد أمك لسماع صوتك. . سأناديها فوراً».

ـ شكراً.

لم يحاول أوليڤر أن يؤخرها، مع أن من غير عادة خالة لاورا، نيل، أن تُظهر أي اعتبار له أو لأمه. . ولولا أنها شقيقة ماغي ويليامز وپنمادوك كان دوماً بيتها لتخلصت منها ستيلا منذ زمن بعيد. . ومع أن غريف كان متسامحاً معها في أشياء كثيرة، إلاّ أنه لم يتزحزح قطُّ بخصوص اليانور

في النهاية، ارتضت أمه أن توظف مدبرة منزل. ولأن والدة لاورا كانت مريضة قبل موتها بفترة طويلة، استلمت إليانور إدارة المنزل منها. وحين ماتت ماغي، وتزوج غريف مرة أخرى، احتفظت إليانور بمركزها. . لعلّ ستيلا تذمرت في البداية، لكنها لم تكن يوماً من النوع الذي يستمتع بالواجبات المنزلية.

ـ أوليڤر؟

جاء صوت أمه حاداً عبر الهاتف، ومع أنه معتاد على «دراميتها»، إلا أنه أحس أنها شاردة الذهن أكثر من العادة. . وكان في صوتها شيء من الهستيريا لم يتوقعه، وحضر نفسه لمواجهتها بأفضل ما يستطيع.

ـ مرحباً أمي.

حياها بعدم اكتراث كعادته. . ثم أكمل بلطف: «آسف جداً لسماع خبر غريف. . لا بد أنك مشتتة الفكر».

ـ أجل. . أجل. . أنا هكذا.

ردها كان متوتراً غير سوي: «أين كنت بحق الله. . . أوليڤر؟ أنا أحاول أن أتصل بك منذ أيام».

ـ أعرف. . توماس قال لي.

ـ توماس! . . ذلك المراوغ الحقير تجرأ أن يقول لي إنه لا يعرف كيف يتصل بك، وكأنك سافرت دون أن تترك عنواناً مسبقاً.

أخذ أوليڤر نفساً طويلاً: «لم يكذب أمي. . لقد غادرت سنغافورة صباح الأمس. . لكن الطائرة تأخرت لمشكلة في الجمرك في البحرين، ثم، كان الطقس. . ».

ـ كان يمكن أن تتصل هاتفياً.

أحس أوليڤر أن تعاطفه بدأ يستحيل توتراً: «ولماذا؟ لتوماس عينان. . وبإمكانه أن يرى مشكلة الطقس».

ـ وهل هذه ملاحظة ساخرة لي؟

وارتجف صوت ستيلا قليلاً، وأدرك أوليڤر أن موت غريف أصابها بأقسى مما اعتقد. اعتاد رؤيتها تتذمر من صعوبة الزواج برجل أكبر منها سناً بكثير. . ولا يفهم لماذا ينقصها المال دوماً.

ورد بلطف: «أنا لا أسخر أمي. . ومن الطبيعي لو عرفتُ بأمر غريف. . ».

ـ أجل. .

ولراحته بدا له أن أمه سيطرت على نفسها وكررت: «أجل. . حسن جداً. . أعتقد أن هذه نقطة عادلة لصالحك. لم يبد عليه أي سوء حين سافرت. . ألبس كذلك؟ وكيف لأي منا أن يعرف أنه سيموت بعد ثلاثة أسابيع؟».

وارتفع صوتها ثانية، لكنها تمكنت من تثبيته: «أنت آتٍ إلى هنا بالطبع؟».

ـ طبعاً.

واعترف لنفسه أن لا مجال لتجنب هذا.

- سأتناول شيئاً، ثم أنطلق.
- حمداً لله! سأنتظرك

أوشكت على إقفال الخط، لكن أوليڤر بادرها بسؤال متردد:

- غريف..؟ أعني كيف حدث هذا؟

ردت ستيلا باختصار: «أصيب بنوبة قلبية.. وقد السيارة بحذر».

واضح أنها لا تريد بحث الأمر عبر الهاتف.

ومات الخط.. وأعاد أوليڤر السماعة بيد مرتجفة.. حسب معرفته، لم يعانِ غريف يوماً من أي مشكلة في القلب.. لكن ما الذي يعرفه حقاً؟ فهما لم يكادا يتصادفان خلال السنوات العشرين التي جمعته بأمه. وعلى الرغم من أن العمر أرسى شيئاً من التفاهم بينهما، إلاّ أنهما ما كانا يوماً مقرّبين.

وبقيت أمور كثيرة ودّ لو يعرفها.. هل ستأتي لاورا إلى الوطن لحضور جنازة أبيها؟ طبعاً لا بد من هذا. وهي لم تعد إلى الوطن بعد أن انهار زواجها من كونور نيل.. لكن هذا أمر مختلف فعملها في نيويورك.. ولقد أسست لنفسها مركزاً مناسباً هناك.. فلماذا تعود إلى انكلترا، وتحديداً إلى وايلز، ولديها وظيفة ممتازة في الولايات المتحدة؟

التوت شفتاه.. بالطبع، ارتاحت ستيلا لأن لاورا لم تعد إلى بينمادوك.. فآخر ما ترغب فيه هو أن تعود ابنة زوجها لتتحالف مع أبيها ضدها.. ولن يستطيع أوليڤر الإنكار أن ستيلا كانت تغار دائماً من علاقة لاورا بأبيها، ولاورا لم تسامح أمه لحلولها مكان ماغي بعد أقل من سنة على وفاتها.

ما إن أنهى حمامه وغير ثيابه حتى حلّ الظلام. فتخلّى عن راحته في يوم الشتاء القصير هذا ليمضي أمسية مريرة باردة، ولم يكن أوليڤر يتطلع باستحسان إلى الرحلة الطويلة حتى وايلز.. في الطابق الأسفل، حضر توماس القهوة، وبعض الحساء، إضافة إلى سندويش. وقال معتذراً مع دخول أوليڤر إلى المطبخ: «هذا لكي تشعر بالدفء، ليس إلاّ».

كانت شقة توماس في الطابق السفلي من البناء، حيث تقع غرفة أوليڤر «المظلمة» الخاصة لتظهير الصور.. خلال أمسيات الصيف كان توماس يقدم له وجبات الطعام في الحديقة المسورة خلف المنزل. أما هذه الليلة، فقد كان الفناء المرصوف شفافاً باللونين الأبيض والأسود، وقد أضفى الانعكاس من نوافذ الغرفة الخلفية جمالاً غريباً على المنظر بشكل عام.

رن جرس الهاتف مجدداً بينما كان أوليڤر يشرب الحساء، ولم يتردد توماس هذه المرة في الرد.. وقال وهو يغطي السماعة بيده:

- إنها الآنسة هارلوي.. أتريد التكلم معها، أم أقول لها إنك خرجت؟

سخر منه أوليڤر: «وهل تكذب؟».

ثم أخذته الشفقة بالعجوز فمد يده: «سأكلمها..» فهو مدين لناتالي بتفسير عن مكان وجوده في الأيام الماضية.

- مرحباً حبيبتي.. جيد أن أسمع صوتك.. هل اشتقت إليّ؟
- وهل تهتم؟

وتنهد أوليڤر لإدراكه أن ناتالي غاضبة منه كذلك.. وأكملت:

- توقعت منك اتصالاً طوال بعد الظهر.. ولقد اتصلت بالمطار وقالوا لي إن الطائرة تأخرت، لكن...

قاطعها أوليڤر: «لقد عدت منذ نصف ساعة، وكنت على وشك الاتصال بك.. لكن.. حسن جداً.. لقد جدّت أشياء».

قالت ناتالي: «أي أشياء؟».

قضم أوليڤر سندويشه: «مكالمة من أمي..».

وأخذ يمضغ بسرعة ثم قال: «كانت تحاول الاتصال بي كذلك».

- هل أنت تأكل؟

وبدا سؤالها ساخطاً، وابتلع أوليڤر اللقمة قبل محاولة الكلام ثانية:

- أجل.. أحاول فقط تقوية نفسي لأجل الرحلة. يجب أن أسافر الليلة إلى بينمادوك.

شهقت ناتالي: «بينمادوك؟ لست جاداً».

هز أوليڤر رأسه لتوماس وهو يشير إليه بصنع سندويش آخر: «أخشى أنني مضطر، فقد أصيب زوج أمي بنوبة قلبية منذ يومين».

استحالت نبرة ناتالي الساخطة شفقة: «أوه..! أوه.. أنا آسفة جداً.. كيف حاله الآن؟ هل الأمر خطير؟».

ـ لقد مات.. ولهذا السبب تريد مني أمي أن أذهب إلى هناك الليلة، فأنا قريبها الوحيد ومن الطبيعي أن تحتاج إلى دعمي.

لم يكن أوليڤر واثقاً من حاجة أمه إليه. لقد بدت غريبة الأطوار حين كلّمها.. وبالرغم من كل السنين التي أمضياها معاً، لم يتوقع أن يؤثر فيها موت غريف بهذا الشكل.

ولحسن الحظ كان من السهل تحويل اهتمام ناتالي: «لكن، ماذا عن حفلة آل رايس؟ ألا يمكنك العودة غداً؟ بالتأكيد ليس هناك ما يمكنك فعله».

قال أوليڤر بجفاء: «ما عدا أن أكون موجوداً لأجل أمي.. أنا آسف حبيبتي.. لكنك ستضطرين للذهاب بمفردك».

تمتمت ناتالي، بغير صدق: «أولا أفعل هذا دائماً. أوه.. حسن جداً.. لكنك ستتصل بي وتبقيني على اطّلاع بكل شيء».

ـ أعدك.

وأحسّ أوليڤر بالراحة لخلاصه بسهولة.. لكن بعد أن أعاد السماعة إلى مكانها، صعب عليه صرف النظر عن الصور التي أثارتها كلمات ناتالي.. ووبخ نفسه بنفاد صبر، الوقت ليس مناسباً ليفكر بلاورا.. أو ليتذكر ما حصل في ليلة الصيف التي لا تنسى، أو ليبحث سبب تخليه عن الجامعة ذلك الخريف، ليغادر البلاد ويمضي سنة يجول في أوروبا، محاولاً نسيان ما حصل.

قاطع توماس المتلهف أفكاره: «أنت تدرك أن الساعة تجاوزت السادسة سيد أوليڤر؟ وأنا واثق أن قيادة السيارة حتى وايلز الليلة عملاً ليس

بحكيم. فالرؤية سيئة على الطريق العام ومنظمات السير تحذر الناس من السفر إلا في حالات الضرورة القصوى.. ألا تظن أن أمك ستتفهم لو..».

غادر أوليڤر الطاولة قائلاً: «إنسَ الأمر.. بالنسبة لأمي.. هذا أمر طارىء. إلى هذا قد يزداد الطقس سوءاً، وأنا لا أريد أن أجد نفسي غداً عاجزاً عن الذهاب بسبب تراكم الثلوج».

هز توماس كتفيه: «حسن جداً.. إذا كنت مصمماً.. لكن، يجب أن أقول، إن هذه المرة الأولى التي أراك فيها تصمم على طاعة أمك».

وتجعد وجه أوليڤر النحيل بابتسامة ساخرة. وقال وهو يرمي حقيبة الظهر على كتفه: «لن ينفع ذلك، سأتصل بك غداً. أينما كنت.. وسأبلغ ستيلا تعازيك.. أتريد هذا؟ أنا واثق أنك لا تريد أن تظنك غير مهتم».

رد توماس ساخطاً: «لقد أبلغتها تعازيّ.. ولو أنه يسعني القول إنها لم تكن راغبة في تعاطفي..».

ثم، ولأن المحبة لسيده كانت حقيقية قال: «أعتنِ بنفسك.. هلا فعلت ذلك؟».

ـ سأفعل.

وربّت أوليڤر على كتف العجوز بحنان، التقط مفاتيحه واتجه نحو الباب.

* * *

٢ ـ منزل تسكنه الأرواح

ارتجفت لاورا.

فبالرغم من الحرارة التي تنبعث من المدفئة القديمة الكائنة في الزاوية، كان المطبخ في پينمادوك بارداً بكل تأكيد هذه الليلة.. وكان البرد يهاجمها عبر نعلي خفيها، وتساءلت لماذا لم تستبدل ستيلا الأرضية الحجرية ببلاط حديث.. وبالطبع استطاعت أن تخمن السبب.. فالمطبخ منطقة خاصة بالخالة نيل، أضف أنها تظن أن ستيلا لا تدخل المطبخ أبداً، إلا لإصدار الأوامر..

لكن، كان من دواعي الارتياح أن تجد أن بعض الأشياء في پينمادوك على حالها، بينما تغيرت أمور أخرى كثيرة.. والدها الآن ميت.. إنه أمر صعب التصديق، لكنه صحيح. وأصبحت ستيلا الآن سيدة المنزل ولاورا موجودة هنا رغماً عنها.

هل مرت ستة أشهر فقط منذ رأت أباها في لندن؟ لقد بدا لها بصحة جيدة كالعادة، وقد ألفته أكثر مرحاً من عادته. ولقد عزت هذا إلى ارتفاع معنوياته لرؤيتها ثانية.. لكنها تساءلت الآن عما إذا كان ذلك مجرد ستارة لإخفاء شيء آخر. قالت ستيلا إنه لا يعاني أي مشكلة في قلبه، على حدّ علمها، ولكنه ربما أخفى الأمر عنها، هي أيضاً.

وانكمشت معدتها.. ليتها فقط كانت تعرف. وليت قلبها أنبأها أن ثمة خطباً ما..

استناداً إلى ما روته زوجة أبيها، حصلت النوبة القلبية على حين غرّة، لم تكن متوقعة إطلاقاً. فأبوها خرج ليركب الخيل في وقت مبكر من ذلك اليوم. ثم، وحسب رواية ستيلا مرة أخرى، عاد إلى المنزل في الساعة الثالثة، أو ما يقاربها. ودخل مباشرة إلى مكتبه.. ووجدته هناك بعد ساعتين، كما قالت، ممدداً على الأرض وفنجان القهوة لا يزال في يده.

زفرت لاورا نفساً مرتجفاً.. آملة ألا يكون قد عانى ألماً..

حين تكلمت مع رئيسها في دار النشر التي تعمل فيها في نيويورك، قال لها إن هذه هي الطريقة الفضلى للموت.. بالنسبة لأبيها على الأقل، كما فكرت الآن.. لكن ليس للأشخاص الذين تركهم وراءه.. ولقد تدمرت حياة الخالة نيل، ومثلها مثل لاورا، ترى مصيرها مكتوباً أمام ناظريها.

ارتجفت مرة أخرى، والدموع تنحصر في مقلتيها، وجمعت أطراف عباءتها الصوفية حولها. واقتربت أكثر من الموقد.. الحمد لله أنهم لا يزالون يستخدمون مواقد حطب في الشتاء، وأحنت كتفيها. كان لا يزال هناك بضع جمرات تعطي دفئاً ضعيفاً.

تنهدت وتطلعت حولها.. لقد نزلت إلى الطابق الأسفل لتحضر لنفسها كوب حليب دافئاً، لأنها لم تستطع أن تنام.. لكن الحليب أخذ وقتاً طويلاً ليغلي.. وربما كان يجب عليها أن تفتش عن زجاجة ماء ساخن لتملأها.. فعلى هذا المعدل ستتجمد قبل أن تعود إلى فراشها.

أجفلت مع تحرك جمرة متوهجة فجأة في الموقد. على الأقل، هذا ما اعتقدته. إلاّ أنّ ما تناهى إلى سمعها كان صوتاً بدون شك وكأن شيئاً وقع، إما هنا وإما في الخارج.. وبدأت تشعر بالتوتر قليلاً، وتعي جيداً أنها وحدها هنا في الطابق الأسفل.. ومع تساقط الثلج في الخارج بكثافة، لف پينمادوك جوّ من الترقب، صَعُب تجاهله.

بدأ الحليب يغلي في اللحظة عينها التي حاول فيها أحدهم فتح الباب الخارجي، ولم يكن هناك مجال للخطأ في الصوت.. وانقطعت أنفاس

لاورا. . ولم تعد تعي شيئاً إلاّ أن وعاء الحليب أخذ يفور وأن حديد الموقد أخذ يئز، وتصاعدت رائحة الحليب المحروق وملأت المكان.

أبعدت وعاء التسخين عن النار وتأوهت: «أوه. . يا إلهي!» فقد ركزت اهتمامها كلّه على هوية الذي يريد اقتحام المنزل في مثل هذا الوقت من الليل. أصغت جيداً. . كانت واثقة تقريباً أن كتف رجل تدفع الباب. . وكانت هي واقفة هناك، مجمدة دون حراك. رافقت شتيمة مسموعة محاولة جديدة لفتح القفل.

تركت لاورا وعاء الغلي فوق الموقد وتراجعت نحو الرواق الطويل الضيق الذي ينفتح على المطبخ. ولم يكن هناك باب بين المطبخ والممر حيث تترك الأحذية الثقيلة والمعاطف والملابس الأخرى التي تستخدم خارج المنزل والتي تحتل صفاً طويلاً من المشاجب.

تطلعت لاورا نحو الممر وقد تسارعت نبضات قلبها. . هناك قطعاً شخص ما في الخارج، ونسبة للشتائم التي سمعتها من وراء الباب، هو رجل. . لا مجال، وكرهت خوفها، واجتازت مدخل المطبخ، لتخرج إلى الممر وهي متوترة.

قالت بحدة: «من هناك؟».

رد الرجل: «ومن تظنين بحق الله؟ ألم تسمعي صوت الجيب؟».

عبست لاورا: «الجيب؟ وهل تسمح أن تقول لي من أنت؟».

ـ ماذا؟ افتحي الباب أمي. . وتوقفي عن. . عن المزاح.

أمي!

وانكمشت معدة لاورا. . أوه لا. . لا يمكن لهذا أن يكون. . ليس الليلة. . ليس وهي ترتدي هذه العباءة القديمة التي وجدتها في مؤخرة الخزانة في الطابق الأعلى. . لقد ارتدتها لأن والدها اشتراها لها حين كانت مراهقة. . لكنها ليست نظيفة ولا ترضي غرورها. كما أنها لا تتناسب إطلاقاً مع شعرها.

تمتمت بضعف: «أولي. . أوليڤر؟».

وأدركت أن عليها أن تفتح له. . وبدا أنه أدرك أنها ليست أمه.

صاح: «لاورا؟».

ثم بدا واضحاً أنه وعى ردّة فعله، فأكمل: «بحق الله. . هل هذه أنت لاورا؟».

وسمعته يزفر نفساً قوياً. . ثم: «ماذا تفعلين؟ تنتظرين وصولي؟».

عبثت لاورا بالقفلين في أعلى وأسفل الباب، وأدارت المفتاح الكبير، وفتحت الباب. . وهي تقول وقد أشاحت عينيها عنه: «هذا أمر صعب. . أوليس معك مفتاح؟».

ردّ: «لا تخبري أحداً. . فهم لم يخترعوا بعد مفتاحاً يمكن أن يفتح قفلاً كهذا».

وعرفت أن سخريته كانت في سبيل إخفاء دهشته لرؤيتها. ونفض نفسه ليتخلص من الثلج عن كتفي سترته الجلدية على أرض الممر. ثم أخذ يشم الرائحة التي فاحت في أرجاء المنزل وسأل: «ما هذه الرائحة الكريهة؟».

ردّت لاورا بلهجة دفاعية: «لقد أحرقت بعض الحليب».

وأقفلت الباب مرة أخرى، قبل أن تمر من أمامه إلى المطبخ. عرفت أن مظهرها غريب بشعرها المشعث، وعينيها المحمرتين من البكاء. . ولم تكن هذه الصورة التي أرادت أن تظهرها لابن زوجة أبيها الذي لم يرها منذ تزوجت كونور. . وسألت: «هل تعرف أمك أنك قادم الليلة؟».

ـ ظننت هذا.

ولحق أوليڤر بها إلى المطبخ، وأشار إلى الموقد:

ـ ألا يجب أن تفعلي شيئاً بشأن هذا قبل أن يظن أحد أنك تحاولين حرق هذا المكان القديم؟

سألت بحدّة وهي ترمي الوعاء في الماء البارد قبل أن تأخذ منشفة صحون لتمسح الموقد.

ـ أتعني. . أمك؟

قال: «هذا ممكن . . ».

ليتها لم تقفز بطفولية للدفاع عن نفسها، لقد قالت لنفسها إنها إذاً . . ومتى . . رأت أوليڤر، ستتصرف وكأن الماضي بلد آخر؛ بلد لا تودّ الذهاب إليه، ولا استعادة ذكريات المراهقة الساذجة التي مرت بها . .

وضع حقيبة الكتف القماشية من يده، ورمى حقيبة الملابس فوق ظهر كرسي هزاز قديم قرب الموقد.

ـ على أي حال، أنا آسف بشأن موت والدك . . لا بد أنها صدمة مريعة.

ـ أجل . . أجل . . إنها كذلك.

ولم تنظر لاورا إليه، بل رفعت كتفيها قبل أن تتابع تنظيف البقع المحترقة.

وقال بلطف: «لقد كانت صدمة لي كذلك . . لم أكن أتفق كثيراً مع والدك، لكن في السنوات الأخيرة، أعتقد أن كل واحد منا بات يحترم وجهة نظر الآخر».

أرغمت لاورا نفسها أن تنظر باتجاهه . . وردّدت: «في السنوات الأخيرة؟ لم أعرف أنك كنت تقضي وقتاً طويلاً في بينمادوك».

أخذ نفساً طويلاً: «لم أكن أفعل . . لكنك كنت في أميركا بينما بقيت أنا هنا . . كان يأتي إلى لندن أحياناً، وكنت أزور هذا المكان، ولو في مناسبات أقل».

حاولت لاورا ألا تدع السخط يسيطر عليها، فعلى أي حال، ليس والدها من منعها من العودة إلى الوطن. إنما هي نفسها فبعد انفصالها عن كونر، بدا لها أنها فاشلة في زواجها كما في أي شيء آخر. ولن تتركها ستيلا تنسى هذا.

عادت إلى تنظيف الموقد، وتمتمت: «لم يقل لي هذا».

لكنها أحست أن أوليڤر قطع الغرفة ليفتح باب البراد . . ثم سأل:

ـ ولماذا يقول لك؟ فهو ظن بالتأكيد أنك لن تهتمي بالموضوع.

وتنهد: «هل هناك شيء يؤكل هنا؟».

سمحت لاورا لنفسها أن تنظر إلى كتفيه العريضتين . . وسألت: «ألم تتناول العشاء؟».

وأقفل باب البراد، وقد عيل صبره: «العشاء؟ أي عشاء؟ لقد عدت لتوي من سنغافورة في وقت متأخر من بعد الظهر، واتضح لي أن أمي تتصل بي منذ ساعات . . وما توقفت في المنزل إلا لأستحم قبل مجيئي إلى هنا».

ظهر الفضول على لاورا.

ـ سنغافورة؟ ألم تتناول شيئاً من الطعام؟

ونظر أوليڤر مجدداً إلى البراد: «حساء وسندويش . . ألم يعد الناس يأكلون اللحم هذه الأيام؟».

ترددت لاورا، ثم قالت: «أتوقع أن الخالة نيل خزنت الطعام في الثلاجة . . فهي معتادة على التسوق الأسبوعي من السوبر ماركت في روزماور».

نظر إليها أوليڤر: «وأعتقد أنني مضطر إلى قبول سندويش آخر».

التوى فمه بمرح وهو ينظر إلى ما ترتديه: «هل هذه العباءة جديدة؟».

رفعت لاورا رأسها وسألت ببرود: «ألم تتعرف إليها؟».

وشعرت بالرضا يتسلل إلى نفسها عندما رأت الاحمرار يغزو خديه. أمّا التورّد الذي كسا وجنتيها فلم يشعرها بكثير من الراحة لأنها مرة أخرى، فضحت أفكارها، وعرضت نفسها إلى احتقاره.

لكن، وبدلاً من تعليق ساخر، أقفل أوليڤر باب البراد مرة أخرى واستند إلى الوراء وعقد ذراعيه على صدره وقال بهدوء: «حسن جداً . . دعينا نبدأ من جديد . . هل هذا ممكن؟».

كانت عيناه الخضراوان ضيقتين، تلمعان بمشاعر مكبوتة.

ـ أنا لم أرغب في الجدال معك لاورا . . أعرف أن هذا ليس سهلاً عليك . .

ـ أنت تغتر بنفسك!

ردّ بخشونة: «أعني وفاة أبيك. . لأجل الله، ألا يمكنك التفكير سوى بنفسك؟ أعرف أنك تكرهينني لاورا، لكن في هذه المناسبة اعتقدت أنك ستضعين مشاعر الناس قبل مشاعرك».

ارتجفت لاورا: «لقد تأخر الوقت. .».

ـ أجل. . لكن ليس كثيراً. . كما أرجو! اسمعي كما قلت. . دعينا نحاول مجدداً أن نصل إلى نوع من التفاهم. . هل من الممكن؟ حسن جداً. . لأجل خالتك نيل، دون سواها؟

رمت لاورا فوطة الصحون في المغسلة وشدت حزام عباءتها. . وقالت: «حسن جداً».

وسمعت صوت تنفسه المستسلم.

ـ حسن جداً؟ أوه لاورا. . لا تجعلي الأمر سهلاً علي، هل تسمعين؟

ـ قلت. .

ابتعد عن الباب: «سمعت ما قلته. . حسن جداً. .».

ومد يده إليها: «صديقان؟».

بللت لاورا شفتيها الجافتين. . لم تكن تريد أن تلمسه. يا إلهي! هي تفضل أي شيء على أن تضع يدها في يده. لكن هذه حماقة! حماقة! هل تريد أن يعتقد أنها خائفة منه. وأنها لم تتغلب بعد على غرامها الطفولي الذي حطم حياتها!

قالت وهي تكاد تسد فمها لمنع الغثيان الذي تصاعد إلى حلقها:

ـ صديقان.

وأطبقت أصابعه البنية القوية حول يدها.

إنها باردة، لكن تأثيرها على لاورا كان حاراً. . حرارة نارية انتشرت صعوداً في ذراعها لتجتاح كيانها وتجعلها تقشعر بإدراك غير مرحب به. دفء أنفاسه هاجم ياقة عباءتها، وأحست كأنها تغلفت بعطره ورائحة رجولته. . وكتمت آهة. لكن هذا كل ما استطاعت فعله لمنع نفسها من

سحب يدها بحدة من قبضته القوية.

قال: «هاي. . أنت ترتجفين. أنا آسف. . لم أقصد إزعاجك. . تعرفين هذا».

وعضت لاورا على شفتها لتمنع الإنكار الغريزي.

ـ أنت لم تزعجني.

لكن صوتها كان مرتفعاً ومشدوداً، ويبدو أنه أحس بهذا. . فلم تستطع منع ردة فعلها الآلية. . وبصوت مخنوق، تراجعت عنه، لتصطدم بزاوية الطاولة الخشبية التي تحتل وسط المطبخ.

ـ لاورا!

بدا توتره ظاهراً. . فسألها: «هل هذا ما فعله زواج تعس بك؟».

وأدركت أنه يعتقد أن ردة فعلها هي نتيجة بقايا عذاب من علاقتها بكونور. . وأن الذعر، الذي لا تكاد تسيطر عليه، متعلق بزوجها السابق.

وكأنما. . !

ـ أنا. .

ولم تعرف ماذا تقول. . كان رأسها يدور بمشاعر أثارتها فيها أصابعه القوية. . ولوم كونور على المشاعر التي لم يتمكن يوماً من تحريكها كان مؤلماً قاسياً. لكن. .

ـ دعني وشأني فقط. . أوليڤر. . أنا. . متعبة.

ـ أجل. . أعرف.

وتساءلت كيف له أن يعتقد أنه يستطيع أن يواسيها. . وقال: «مسكينة لاورا، هل لديك فكرة كم تبدين صغيرة في هذا الرداء؟».

قالت مرتجفة، وقد شعرت أنها على وشك الإغماء: «أرجوك. . أرجوك أوليڤر. .».

ـ لا بأس عليك. . أعرف.

وبدلاً من إفساح الطريق لها قال بصوت أجش: «يمكنك الاعتماد علي صغيرتي».

كان يقف قريباً منها، بحيث عجزت تقريباً عن التنفس وأكمل قائلاً: «أنا هنا لأجلك، وأريد منك فقط أن تعرفي هذا!».

ـ وماذا تظن نفسك تفعل بحق الله؟

للحظة، تساءلت لاورا عما إذا كانت هي التي تكلمت.. لكن هذا ما كان يجب أن تقوله، وتعرف هذا. إلاّ أنها أحسّت أن أوليفر يتعرض لرّدة فعل أقوى من ردة فعلها.

وازداد هذا الارتياب قوة عندما تعالى صوت ستيلا ولياميز الحاد:

ـ بحق الله أوليفر هل فقدت صوابك؟ لا يمكنها أن تبقى في هذا المنزل خمس دقائق دون أن تتسبب بالمشاكل.

فغرت لاورا فاها: «أرجو ألا تعتقدي أنني.. أنني.. كنت أشجعه..».

سألت زوجة أبيها بسخرية: «إذن ماذا تفعلين هنا في وقت كهذا من الليل؟».

وشخرت هزءاً: «وما هذه الرائحة الكريهة؟».

ثم استدارت إلى ابنها دون انتظار الردّ، وقالت: «أعتقد أنك طلبت منها أن تدخلك.. لماذا لم تأتِ من الباب الأمامي؟ قلت لك إنني سأنتظرك».

رد أوليفر باختصار رامقاً لاورا بنظرة مدروسة: «ظننت أن الجميع نيام.. ولم أتقدم إلى الباب الأمامي.. لم يكن هناك أنوار أستطيع رؤيتها».

مطت ستيلا شفتيها وقالت بمشاكسة: «لا بد أنني غفوت قليلاً.. والله يعلم أنني لم أنم كثيراً منذ رحيل غريف».

قال أوليفر: «.. ولاورا لم تستطع أن تنام كذلك.. فنزلت لتحضّر شراباً ساخناً، وأزعجتها بحضوري.. ولهذا فار الحليب. كانت هذه غلطتي.. وما تشمين رائحته.. هو حليب محروق.. ليس إلاّ».

نظرت ستيلا إلى لاورا نظرة مستخفة: «إذا كنت تقول هذا.. أليس

لديك شيء آخر ترتدينه؟».

هزت لاورا رأسها نفياً.. لم يكن لديها النية أن تناقش أمر مظهرها مع زوجة أبيها، وقالت: «لو عذرتماني.. سأعود إلى الفراش».

واتجهت نحو الباب.

وكان هذا أسهل مما ظنت إذ لم يتكلم أي منهما وهي تخرج إلى الردهة.. الجمرات المتأججة في موقد الردهة، أضاءت لها باب غرفة مكتبة أبيها، وأعطتها لحظة لتقف، وأحست بما يغويها لتدخل إلى هناك وتحاول تهدئة نبضها المتسارع.

ولكن ستيلا قد تُظهر لابنها المكان الذي وجدت فيه زوجها، وهذا ما منعها من دخول المكتبة. فصعدت السلالم والتجأت إلى غرفتها.

اتجهت إلى السرير المربع الذي شغلته عندما كانت تعيش هنا، وعلى الرغم من أن ستيلا غيرت ديكور الغرفة، بدت لها مألوفة جداً لكنها المرة الأخيرة التي ستستخدمها.. وملأت الدموع عينيها مرة أخرى. فما إن تنتهي جنازة أبيها، حتى يتبدد كل عذر يسمح لها بالعودة إلى هنا.

إنّ انعكاس صورتها في المرآة على طاولة الزينة تسبب لها برجفة فورية.. فلوهلة، بدا وجهها الذي نظر إليها عبر المرآة، كوجه أمها. فهي وأمها متشابهتان جداً.. وجه أبيض شاحب، عينان رماديتان شاحبتان، وشعر أحمر جامح في لونه، يلتف بفوضى حول وجهها وكتفيها..

وماذا عن أوليفر.. حسن جداً.. إنها ترفض التفكير فيه، فهي لم تنخدع قطُ بمحاولاته لاسترضائها.. ولم تعرف أي لعبة يلعبها، لكنها لا تنوي أن تجعل من نفسها بلهاء مرة أخرى.

تنهدت.. وفكت رباط عباءتها لتعود إلى الفراش.. كان من المستحيل أن تأتي إلى هنا دون أن تهاجمها الذكريات.. ومهما بلغ ندمها الآن، فقد كان أوليفر جزءاً متمماً لنموها.

وكبتت دمعة.. ربما تكره زوجة أبيها لأنها أخذت مكان أمها.. لكنها لم تكره قطُ أوليفر. عندما كانت في العاشرة من عمرها وهو في

الثالثة عشرة، فعلت ما بوسعها لتكسب ودّه. لم يكن لديها أخ أو أخت من قبل فجعلت منه بطلها المعبود.. كانت تلحق به في كل مكان وكأنها التابع الأعمى، الراغب أن يفعل أي شيء يطلبه منها.

ولم تكن الوحيدة، فقد كان صبياً محبوباً.. وفي المدرسة المختلطة التي ارتاداها في بلدة روزماور، لم تنقصه الرفقة يوماً. ولستة أعوام تقريباً، ظنّت أن الفتيات اللواتي دخلن حياته وخرجن منها لا يعنين شيئاً له.. كان تعلقها به قوياً بحيث أقنعت نفسها أنه إنما يقتل الوقت معهن إلى أن تكبر هي.

وعرفت ستيلا ما تشعر به، طبعاً. فلزوجة أبيها خبرة واسعة بالحياة أكثر من والد لاورا، في البداية سلاها أن تكون ابنة زوجها قد وقعت في حب ابنها بالكامل. ولم تفعل ستيلا شيئاً حيال الأمر.. لكنها واجهت الحقيقة المرة حين شعرت أن ابنها يهتم بها حقاً وكان أن كرهت الفتاة منذ ذلك الوقت.

تأوهت لاورا وانقلبت على معدتها، محاولة تهدئة المشاعر التي تتحرك داخلها، كل هذا أصبح من الماضي.. أقنعت نفسها بهذا، فقد تجاوزت عقدة أوليڤر حين تزوجت كونور.. ولقد نضجت قبل زواجها بزمن بعيد.. حسن جداً.. لم ينجح زواجها.. لكن هذه أشياء تحصل.. فقد كان كونور صغيراً في السن ليتحمل الارتباط.

وفكرت فجأة: إنها العودة إلى هنا.. فهي لم تقضِ وقتاً طويلاً في بينمادوك منذ تركته لتذهب إلى الجامعة منذ أكثر من عشر سنوات. ومثل أوليڤر، تركت المنزل حالما انتهت أيام المدرسة.. ولو أنه فضل متابعة دراسته لسنة ثم سافر في جولة حول أوروبا.

التوت شفتاها.. يبدو لها أحياناً وكأن الحظ يبتسم دائماً لزوجة أبيها، لذا يصعب عليها ألا تكرهها خاصة وأنها غيّرت مجرى حياتها. أما أوليڤر، فعلق في صراع نشب بعد خلاص أحد البلدان من حكومة دكتاتورية، لم يبدُ محظوظاً يومها، إلا أن الصور التي أرسلها إلى إحدى

الصحف في لندن أمنت له عملاً في الصحافة بعد تخرجه من الجامعة. ومنذ ذلك الوقت، أصبح شهيراً لمهارته في التقاط الصور الفوتوغرافية.. ومؤخراً، حصل كتاب نشره لصور بالأبيض والأسود عن الحياة البرية في الألسكا على رتبة في قائمة أفضل المبيعات وفي هذه الأيام هو يعمل لحسابه الخاص.. يقبل مهمات كيفما يروق له وأينما يروق له.. وكان كذلك يلقي المحاضرات.. وعرفت لاورا كل هذا لأنها حضرت إحداها في نيويورك.

وهذا كله يختلف تماماً عن تجربتها. فبعد أن تركت منزلها بسبب أوليڤر، وجدت من الصعب أن تثق برجل مرة أخرى.. إضافة إلى هذا، وبالرغم من تخرجها من الجامعة في الأدب الإنكليزي، لم تكن عبقرية.. أمّا حصولها على عمل في دار نشر فهو بفضل والد كونور الذي قدمها إلى أخيه الذي يملك الشركة، وليس لأي مهارة تمتلكها.

كان والدا كونور طيبين معها. هما أميركيان، مثل ابنهما، الذي أرسلاه إلى انكلترا في الأساس ليحسن تصرفه الاجتماعي. ولقد قال للاورا بعد زواجهما إن استقلاليتها واكتفاءها الذاتي هما اللذان اجتذباه إليها.. ولم تقل له يوماً لماذا اضطرت إلى الاعتماد على نفسها فقط.

بدا لها في هذه اللحظات أنها تستعيد ذكريات حياتها كلها..

وأوليڤر كيمب، نقطة الارتكاز في صميمها.

* * *

٣ ـ القلب والرجل . . .

استيقظ أوليفر وهو يشعر بصداع أليم.

لكنّه استلقى بهدوء، وراح يتساءل أين هو وكيف جاء إلى هنا. . لم يستطع أن يفهم لماذا كانت غرفته باردة. . فالطقس ليس بارداً في ماليزيا. وإذا لم يكن هناك، فلماذا لا يسمع ضجيج زحمة السير في «تايستبريدج»؟ فهو معتاد على ضجيج المدينة، الذي يصخب على بعد ياردات من «مايستون سكوير».

ثم تذكر. . وتذكر كذلك لماذا كان رأسه يضج، وكأن محركاً يدور فيه. . إنه في وايلز، تحديداً في بينمادوك. وليس في لندن. . وما صداعه هذا إلاّ نتيجة تأخره في النوم، فهو لم يأوِ إلى فراشه إلاّ عند ساعات الصباح الأولى.

وتأوه. . وجب عليه أن يتعقل أكثر. . لكنه بعدما رأى لاورا وعرف سبب تلهف أمه للاتصال به آثر أن يطرد النوم من عينيه ليفكر جيداً.

الوصية. .

جلس في سريره وأخذ يتطلع حوله في الغرفة. . لكن الفراش ترنح تحته بشكل منذر بالخطر. . حاول أن ينهض، إلاّ أنه اضطر إلى التمسك بالسرير ليحافظ على توازنه. .

وقف على قدميه وهو يلعن الحظ الذي جعله يعود إلى انكلترا في هذا الوقت بالذات، سار في الغرفة وكأنه رجل عجوز.

بحث طويلاً، لكنه لم يجد مسكناً للألم في خزانة الحمام الصغيرة. .

كاد النور في الداخل يعميه. . فقد غاب عن باله إطفاء النور في الليلة الماضية. . أمّا انعكاس الشمس فوق الثلج، فكان كسكين يطعنه في صدغيه. . لم يعتد رؤية هذا النور إلاّ من خلال آلة التصوير ولكنّه عاجز عن التفكير بهذا الموضوع.

ـ ما أحتاج إليه بالضبط هو الاستحمام.

على الأقل، كانت المياه ساخنة، فدخل تحت الدوش وشعر بأطرافه تشلّ تحت ضغط الماء. لم ينظر إلى ساعته، لكنه قدّر أنها تجاوزت التاسعة. وتمنى لو أنه يستمتع بكوب من القهوة القوية التي يعدّها توماس، لكنه مضطر الآن أن يكتفي بالقهوة الفورية التي لا تصنع خالة لاورا غيرها.

بعد خمس عشرة دقيقة، غادر الغرفة وقد ارتدى بنطلوناً أسود وكنزة سميكة وحذاء رجالياً ثقيلاً، فوق جوارب صوفية سميكة ليبقي قدميه دافئتين، أما شعره فبقي مبللاً أضف أنه لم يحلق ذقنه ولكنه لا يظن أن أحداً سيلاحظ مظهره. فإذا كانت أمه على حالها منذ البارحة، فلا بدّ أن مظهره هو أقل ما قد يواجهه من مشاكل. . خاصة أنها ستتجنب ما يزعجه طالما تعتقد أنها قادرة على الاعتماد عليه لدعمها في خصامها مع لاورا.

على الرغم من وجود جهاز التدفئة المركزية الذي ثبتته أمه، بقيت الممرات، والردهة في بينمادوك باردة بشكل خاص. .

ولماذا قد تود ستيلا البقاء هنا، طالما هي قادرة على شراء شقة صغيرة حميمة دافئة في «كارمارتن» أو في «لانيللي»؟ . . . إنه لا يفهم دوافعها. كما يصعب عليه أن يصدق أنها متعلقة بهذا المكان القديم. . لا بدّ من وجود سبب آخر.

قرقعت درجات السلم وهو ينزل عليه. . لكن على الأقل كانت النار مشتعلة في موقد الردهة في الأسفل. . وألسن اللهب تندلع من الموقد الذي أكل الدهر عليه وشرب فبات لونه أسود فاحماً.

وعندما توقف ليدفىء يديه قرب النار، برز طيف أسود من جهة المطبخ. . ورأى أوليفر أنها اليانور تينباي، خالة لاورا. . هو يعرف أنها

في الخمسينات من عمرها، لكنّها بدت أكبر سناً بشعرها الأملس الذي غزاه الشيب بالكامل تقريباً.

إنها امرأة شديدة التحول.. لم تحتمله أثناء مراهقته، لكنها عاملته بلطف أكثر مما كانت تعامل أمه لأنّ لاورا كانت مولعة به. وحين تفرقت العائلة، لامته على هجره لاورا، لكنها عادت لتلين في السنوات الأخيرة بعد أن رأت كم أنّ غريف يتشوق لزياراته.

قالت دون حماس: «إذن، لقد صحوت أخيراً».

وبرهنت بهذا مرة أخرى أنها على علم بكل ما يحصل في پينمادوك.. واكملت:

ـ أردت أن أحمل لك فطورك إلى الغرفة.. لكن أمك طلبت أن أتركك نائماً. وإذا كنت تأمل أن أطهو لك شيئاً الآن، فلقد تأخرت كثيراً.

قال أوليڤر بصراحة: «كل ما أريده هو بعض القهوة».

ـ على أي حال.. كيف حالك..؟

وفتح يديه: «لا بد أن ما حصل كان صدمة كبيرة لك».

اصبحت شفتا المرأة خطاً مستقيماً: «فعلاً.. ولن تجد السلوان في إطالة السهر. فما من أحد حسّن وضعاً بإطالة التفكير».

ـ صدقيني.. لقد ندمت.. وأنا آسف لعدم إنذارك بأن غريف كان مريضاً.

ـ أجل.. حسن جداً.. أنت دائماً حساس أكثر مما يظنه الناس. أفترض أنك عرفت أن لاورا هنا.

هز أوليڤر رأسه إيجاباً، ثم ندم على ما فعل.. فقد ضج رأسه، ورفع يده ليدعم مؤخرة عنقه. وقال: «هل لديك مسكّن ما؟ علي القيام بأي شيء قبل أن ينفجر رأسي».

قالت الخالة بتسامح: «تعال إلى المطبخ».

وبدون أن تلتفت إليه لترى ما إذا لحق بها أم لا، عادت أدراجها.. وأضافت: «ما تحتاج إليه هو شيء تأكله.. وستشعر بتحسّن إذا تناولت

بعضاً من دقيق الشوفان المطبوخ. فلا أظنك ترغب بتسميم جهازك المعوي بابتلاع الأقراص».

وبدا المطبخ مختلفاً جداً هذا الصباح عما كان عليه في الليلة السابقة. وكانت النار تشتعل في الموقد، ورائحة دخان الحطب تفوح منه. إضافة إلى رائحة الخبز الطازج، وصوت جيشان اللحم المشوي في الفرن.

راقبته الخالة نيل يجلس إلى الطاولة، ثم راحت تصبّ الحليب في وعاء التسخين.. الوعاء ذاته الذي حرقته لاورا في الليلة الماضية. لكنه الآن نظيف لامع وكأنه عاد جديداً.

وتمنى لو أنه يحصل على فنجان قهوة عوضاً عن الحليب الطازج الدسم.. لكنه لم يرَ وعاء قهوة فوق النار. وعرف أنه سيضطر إلى صنع قهوة فورية لو أراد.

ولكي يلهي نفسه، نظر إلى خارج النافذة. وكما لاحظ ساعة أقفل الستائر في غرفته، توقف تساقط الثلج وبدأ الجليد يذوب تحت حرارة الشمس ويتقطر من السطح نقطةً نقطة. كان المشهد أشبه بعالم أبيض توشحه أشكال الأشجار التي تشبه الهياكل العظيمة..

ـ هل تكلمت مع لاورا؟

لم يكن سؤال الخالة نيل متوقعاً.. وسأل بشيء من السخرية: «أولم تعرفي؟».

وعندما اشتدت شفتاها توبيخاً، أكمل: «أجل.. لقد كانت مستيقظة حين وصلت».

بعد أن انتهت الخالة من تحضير الشاي، حملت الصينية إلى الطاولة.

ـ آه.. تساءلت لماذا لم تقل شيئاً كثيراً قبل أن تخرج.

نظر أوليڤر إلى ساعته: «تخرج؟ في أي ساعة خرجت؟».

ردت الخالة نيل: «قالت إنها تحتاج إلى بعض الهواء النقي».

ووضعت فنجاناً وصحناً ووعاء حليب قرب إبريق الشاي.

ـ هيا.. تناول فطورك.. سيفيدك أكثر من الأقراص.

أراد أوليڤر أن يجادلها ويحضر إبريق قهوة. لكن رأسه لا يزال يضج ولم يستطع أن يزعج نفسه..

ولم يطل الأمر ليلحق طبق الشوفان المطبوخ بالشاي.. ووضعت خالة لاورا فيه السكر بكثرة قبل أن تمرره له. وكان أوليڤر واثقاً أنه سيتقيأ.. لكنه أجبر نفسه على ابتلاع بعضاً من الشوفان.

سأل أخيراً، وقد أدرك على مضض أنه أفضل حالاً: «إذن.. أين ذهبت؟».

ردت الخالة وهي ترتب الملاءة فوق الطاولة: «إلى القرية.. ولم تقل لي الكثير، كما قلت لك».

ورمقته بنظرة متسائلة: «ماذا حصل ليلة أمس؟ هل تشاجرتما؟».

ـ لا.

ـ اعتقدت أن أمك ستنتظرك.. وماذا كانت لاورا تفعل هنا؟

ـ نزلت لتشرب بعض الحليب.

وبصبر، أدرك أنه يعود إلى نموذج الدفاع القديم بالنسبة لأليانور تيتباي.

ـ لقد نامت أمي، أو هكذا قالت.. لذا جئت من الباب الخلفي.

ـ وأدخلتك لاورا..

ـ أجل.

ـ وأتصور أن أمك ظهرت أخيراً.

نظر أوليڤر إليها نظرة ساخرة: «أجل.. لكنك تعرفين كل هذا.. أليس كذلك؟ ولقد ذهبت لاورا إلى النوم ما إن ظهرت ستيلا».

ـ إذن، لم تناقش أمر موت أبيها معك؟

بدا على أوليڤر القلق: «لا.. وماذا هناك للنقاش؟ فأنا أعرف كيف مات.. لقد أخبرتني ستيلا حين اتصلت بها. أصيب بنوبة قلبية.. ولا بد أنها ارتعبت عندما وجدت جثته.. هل كان يرى طبيباً.. أتعرفين هذا؟».

ردت الخالة نيل بحزم: «غريف لم يكن يرى طبيباً.. حين جاء تينيل

إيڤانز ليفحصه فيما بعد، صدم بموته كأي شخص آخر.. ومن يعرف سبب موته؟ إنه لم يعد معنا ليقول هذا.. وربما تلقى صدمة.. أو وقع عن جواده.. ولن نعرف أبداً».

وأحس أوليڤر أن خالة لاورا لديها رأيها الخاص.. ولن تبوح بهذا الرأي له.. ولكن مجرد طرحها الأسئلة، أمر مقلق.

سألها وقد أرغم نفسه على التعامل مع الوقائع: «هل تعرفين ما قد ورد في الوصية؟».

رفعت خالة لاورا كتفيها دون اكتراث: «لا شأن لي بهذا».

واستدارت بعيداً.. ولم يكن هذا رداً، لكن أوليڤر عرف، أن هذا أفضل ما سيحصل عليه.

عاد ليسأل، بعد أن قرر أنه يستحق أن يعرف التفاصيل.

ـ إذن.. كنت هنا حين حصل هذا؟

نظرت إليه من فوق كتفها: «لا.. كنت غائبة طوال اليوم في زيارة لصديقة في «كارديف».. ولقد قال غريف إنه سيخرج مع الصيادين.. ورتبت أمك أمر الخروج للتسوق أو هكذا قالت.. وقالت لي إنها ستأكل في الخارج وألاّ أزعج نفسي بتحضير الغداء قبل أن أخرج.. لكنني تركت لغريف سندويشاً.. لم يلمسه».

وكشرت متألمة.

بدأ صداع أوليڤر يخف قطعاً، وبدأ عقله عمل مجدداً.

ـ هكذا إذن.. كانت وحدها في المنزل حين وجدته.. مسكينة ستيلا العجوز.. يا إلهي لا بد أنها ذعرت!

ـ أستطيع قول هذا.

قطب أوليڤر جبينه وقد ارتاب للنبرة التي تكلّمت بها المرأة وصاح:

ـ هل تشكين في هذا؟.. حتى أنت لا بد أن تشعري ببعض الشفقة عليها.. فما من شيء أسوأ من أن تجد المرأة زوجها ميتاً!

ـ وهل قلت غير ذلك؟

ـ لا . . لكن . .

وصمت فجأة . . ثم هدأت نبرة صوته قبل أن يتابع: «اسمعي . . أعرف أنك لم تحبيها يوماً . . لكن في مثل هذه الظروف، على جميعنا أن يتنازل قليلاً».

هزت الخالة نيل كتفيها: «كما تشاء . . هل قالت لك أمك إنها كانت وحدها حين وجدت . . جثة غريف؟».

سؤالها هذا أزعجه . . لماذا تريد أن تعرف هذا؟

قال بعصبية: «بالطبع كانت وحدها، وتعرفين هذا . . فأنت كنت في كارديف كما قلت».

سألت الخالة نيل: «ربما يجب أن تسألها لماذا مرت ساعتان قبل أن تكتشف الجثة . . وإن كانت هنا فلماذا لم تسمعه وهو يعود؟».

زفر أوليڤر نفساً متوتراً: «ربما سمعته . . فهل سألتها؟».

ـ لا شأن لي بهذا.

نفد صبر أوليڤر: «بلى، طبعاً».

ردّت المرأة بنعومة: «ليس حسب رأي أمك . . والآن، هلاّ عذرتني . . فلدي عمل أقوم به».

أراد أوليڤر أن يستجوبها أكثر . . إنه غاضب ويريد أن يعرف ما عنته نيل بأن سرّاً كبيراً يلفّ وفاة غريف . . وأكد لنفسه أنه ليس هناك أي سر . . فالرجال بعمر غريف معرّضون دائماً لنوبات قلبية.

وبينما خرجت خالة لاورا من المطبخ، توجه نحو النافذة لينظر إلى الخارج شارد الذهن. إنه منظر جميل، فأغصان أشجار الحور العارية تشكل تبايناً صارخاً مع ما يحيط بها. وتشوقت أصابعه لالتقاط آلة التصوير وخطف صورة لأشعة الشمس التي كانت تشكل قوس قزح فنياً في الكتل الجليدية المتدلية من الأشجار . .

ثم تحولت نظراته إلى آثار أقدام عبرت البوابة، وتلاشى كل تفكير له بتشكيل الصور، وغمره شعور بالإحباط . . لاورا في الخارج هناك في

مكان ما . . آثار الأقدام تدل على اتجاه واحد، بعيداً عن المنزل . . وتساءل إذا ما فكرت بما حدث ليلة أمس . . هل تدرك أنه لولا تطفل أمه، لواجهها مجدداً ما هربت منه منذ سنوات طويلة؟

اللعنة . . هل هو مجنون أم ماذا؟ يومها لم يرغب في لاورا، وهو لا يرغب فيها الآن . . وما حدث ما كان إلاّ ردة فعل لظروف محددة . . وهذا كل شيء، ويجب أن يكون ممتناً لأمه لأنها منعته من التصرف كأبله كبير.

ولقد كان أبله . . كان أبله! لكن هذا لا يفسر حاجته لأن يبقى ساهراً يفكر طوال الليل قبل أن يغفو.

* * *

٤ ـ أطياف

وقفت لاورا في ظل شجرة سرو ضخمة مغطاة بالثلج، تدفىء يديها تحت ذراعيها. كانت على وشك الدخول إلى الحديقة حين رأت أوليڤر خلف نافذة المطبخ، وتراجعت إلى الوراء بشكل آلي وقد أنبأتها تعابير وجهه القاسية أن مزاجه متعكر بعض الشيء.

وتزايد خفقان قلبها.. اللعنة، لماذا جاء إلى هنا؟ حسن جداً، ربما هذا غير منطقي.. فزوج أمه ميت، ومن الطبيعي أن ترغب أمه أن يواسيها في مثل هذه الأوقات العصيبة.. لكن، ليتها فقط بعيدة عنه.

فكرت أن تحجز في أحد فنادق «روز ماور»، لكنها سرعان ما تخلت عن الفكرة. فمن غير الإنصاف لأبيها.. أو للخالة نيل.. أن تتصرف وكأنها ليست ابنة ذلك البيت..

وتساءلت عما إذا كان والدها وأوليڤر قد أصبحا متقاربين فعلاً في السنوات الأخيرة، هذا ممكن.. فما من شك أن والدها أسف لعدم رغبتها في زيارة پينمادوك. وبما أن المحيط الأطلسي يفصل بينهما فنادراً ما كانا يتقابلان.

وارتأت لاورا أن تسافر للعيش في أميركا، فبالنسبة إليها كان ذلك أسهل للجميع.. ولقد كان بالتأكيد أسهل لها.

بداية، تمكنت في نيويورك على الأقل أن تضع الماضي خلفها.. ولو أن الجروح التي ظنت أنها التأمت، كانت مدفونة خلف قناع من خداع النفس، إلا أنها وإلى أن أدركت هذا، تمكنت من التآلف مع الألم.

تنهدت.. سوف تضطر للدخول بعد قليل.. فالسماء المكفهرّة تنذر بتساقط الثلوج مجدداً. وشعرت بأوصالها تتجمد فهي لم تعتد العيش في الريف أيام الشتاء. والشتاء في نيويورك، أكثر تمدناً.. الممرات نظيفة دائماً، الأسواق دافئة دائماً.. لا سيما شقتها المريحة، على عكس پينمادوك..

أخذت نفساً عميقاً.. لا يجدر بها استعادة ذكرياتها في هذا المنزل الذي اعتبرته لسنوات أجمل منزل في العالم. ولو أنه ليس جميلاً بالفعل، فهو مبني من حجارة وايلز السوداء. ومظهره كئيب بعض الشيء..

ارتجفت، فنفضت الثلج عن حذائها الثقيل وهمّت بفتح البوابة المؤدية إلى الحديقة. لا فائدة من البقاء خارج المنزل مدة أطول. يجب أن تدخل وتواجه ما كتب لها. وماذا يمكن أن يحدث في بضعة أيام على أي حال؟ والدها ميت.. وجنازته هي كل ما يجب أن تفكر فيه.

ثم أحست بأنفاسها تختنق في حنجرتها. فأوليڤر لا يزال واقفاً خلف النافذة.. لكن وجهه لم يكن ظاهراً. راحت تراقبه، مشلولة الحركة وبدا لها أنها تهذي بدون شك، إذ تلاشى أمامها وجه أوليڤر ليظهر مكانه وجه كبير السن، رقيق القسمات. لم تستطع التقاط أنفاسها عندما تجلى أمامها وجه أبيها.. كان ينظر إلى الحديقة وقد ارتسمت على ملامحه التعابير نفسها التي علت وجه أوليڤر.

تملكها الذعر. لا يمكن لهذا أن يحدث لها.. ليست ممن يتخيلون الخوارق النفسية.

لكن الأمر واضح كعين الشمس.. ووالدها ميت.. ميت! مع ذلك ها هو واقف هناك يرتدي السترة الصدئية اللون الجلدية التي أرسلتها له في عيد ميلاده الأخير.. كان شعره رمادياً، أما شارباه المفتولان فيحيطان بشفته العليا الصارمة. وكان على خديه النحيلين خط من اللون الأحمر المحموم، تحت عينيه تجاويف عميقة، وكأنه لم ينم جيداً.. ينام! وخنقت لاورا الشهقة الهستيرية التي تصاعدت إلى حنجرتها لمعرفتها أن

والدها ميت.. وهل من نوم أعمق من الموت.

تأوهت بصوت مرتفع. ربّاه! ما الذي يحدث لها؟ لا بد أنها تهذي.

رفّت بعينيها.. فاختفت صورة أبيها بشكل فوري.. ووقف أوليڤر هناك وحده كما كان قبل قليل.. وكنزة صوفية بلون العاج تحتضن منكبيه العريضين، وقسماته السمراء قاسية لا تلين.. وبركبتين ضعيفتين، فتحت البوابة ودخلت الحديقة. لن تفكر بما حدث.. فهذا اضطراب فكري تسببت به حالتها النفسية.

رآها أوليڤر على الفور، فارتسمت في عينيه نظرة ارتياح.. وللمرة الأولى أحست بالبهجة لرؤيته. فبعد الاختبار الذي مرت به، كانت ستبتهج لرؤية أي كان..

فتح لها الباب ما إن وصلت المنزل، فبادرته بابتسامة جافة شاكرة وهي تخطو إلى الداخل.. وقال لها محاولاً مساعدتها على خلع السترة الواقية من الهواء.

ـ لقد بدأت أقلق عليك.

لكنها أبعدت يده عنها وخلعت السترة بمفردها. وسألت دون اكتراث: «لماذا؟».

وجلست على مقعد خشبي لتخلع حذاءها. كانت يداها ترتجفان، وأخذت تدعو ربها لئلا يلاحظ هذا. فهي لا تودّ أن يعتقد أنها خائفة منه.

رد عليها: «لأن الثلج سيتساقط بعد قليل».

وانتظر إلى أن وقفت ودخلت المطبخ ليلحق بها ثم.. توقف عند الباب يراقبها وهي تمد قدماً، ثم الأخرى نحو حرارة النار.. ليقول: «وأنت تبدين شاحبة جداً».

ردت باختصار: «أشعر بالبرد».

وأدركت أن البرد الذي تشعر به نابع من داخلها وليس من الخارج.

ـ همم.. هذا أفضل بكثير.

بدا أوليڤر مستعداً لتقبل تفسيرها: «حسن جداً».

واتجهت عيناه بشكل يبعث الاضطراب إلى القميص الذي ترتديه فوق بنطلون ضيق أسود.. وسأل: «هل نمت جيداً؟».

دست لاورا أطراف شعرها وراء أذنيها قبل أن ترد، لتقول كاذبة:

ـ لقد نمت ملء جفنيّ في الواقع.. وأنت؟

ـ لا.

نظرت إليه، وتساءلت عما إذا كان هذا صحيحاً. بدت عيناه منتفختين بعض الشيء لكنها لم تلاحظ اختلافاً يُذكر عمّا بدا عليه ليلة أمس. فعظام خديه بارزة وانحناءة فمه الرقيق مغرية. ملامحه لا تتميز بتلك الوسامة التقليدية، فقسمات وجهه قاسية، لكنه أكثر الذين تعرفهم جاذبية.

قالت دون تفكير: «ربما كان ضميرك يؤنبك».

وندمت على الفور على ما قالته.. فآخر ما تريده هو فتح جراح الماضي.. وأضافت بسرعة: «أعني لأنك لم تكن هنا عندما كانت أمك بحاجة إليك».

ضاقت عينا أوليڤر: «وماذا تعرفين عن هذا؟».

وأشاحت لاورا نظرها إلى النافذة: «عن ماذا؟».

قال أوليڤر باختصار: «عن فترة بعد الظهر الذي مات فيها والدك».

ثم لاحظ ارتجافها فأكمل: «أنت تشعرين بالبرد.. هل ترغبين ببعض القهوة؟».

ودّت لو ترفض.. لكن فكرة شراب ساخن راقتها.. وهزت رأسها: «شكراً».

ملأ أوليڤر إبريق الماء الكهربائي ووصله بالتيار قبل أن يأخذ كوبين من الخزانة فوق رف المغسلة ليسكب القهوة فيهما.. ثم استدار، شابكاً ذراعيه على صدره، ثم استند إلى رف المغسلة.

ـ ماذا قالت لك خالتك عن.. عما حدث؟

ـ ليس الكثير.

وأحست برجفة أخرى تسري في بشرتها.. ونظرت حولها لترى

الكرسي الهزاز قرب النار. وكورت قدميها تحتها وهي تستقر على مقعدها المكسو بالقماش المنجد.. ثم أجابت: «ما قالته لك أمك.. كما أتوقع».

ـ أجل..

لكنه لم يبدُ مقتنعاً، وأكمل: «ظننتك تعرفين أكثر.. فأنت هنا منذ يومين».

ـ لقد وصلت قبلك بيوم واحد.. ثم ماذا هناك لأعرفه؟ لقد أصيب أبي بنوبة قلبية.. ووجدته أمك.. وهذه نهاية القصة.

وابتلعت ريقها غصباً.

انتظر أوليفر إلى أن غلى الماء في الوعاء، وصب الماء في الكوبين قبل أن يعلق.

ـ إذن، لا تعرفين عما كانت تتكلم السيدة العجوز.

رفرفت لاورا عينيها: «لست أدري عمّا تتكلم أنت».

أخذت كوب القهوة منه، لكنها أومأت برأسها رافضة عندما عرض عليها بعض الحليب.

ـ همم.. هذا جيد.

عاد أوليفر إلى مكانه مستنداً إلى رف المغسلة.. وسأل بعفوية: «هل قالت لك خالتك إن ستيلا كانت وحدها حين حدث ما حدث؟».

نظرت لاورا إليه، مدركة أخيراً أن في هذا الحديث أكثر من اهتمام عشوائي.

قالت بارتباك: «أنا.. أجل.. أجل. أعتقد هذا».

وأمسكت الكوب بكلتا يديها: «لماذا؟ ماذا قالت لك؟ إنه كان هنا شخص آخر؟».

هز أوليفر رأسه: «تعرفين خالتك نيل.. فهي لا تقول شيئاً في الواقع».

ـ إذن..

قال عابساً: «كان مجرد افتراض منها.. لقد ألمحت أنه من الغريب أن يموت غريف وتمضي ساعتان قبل أن تجده أمي».

اتسعت عينا لاورا: «حقاً؟».

علت التكشيرة جبين أوليفر: «بالتأكيد قالت لك هذا؟».

بدا التفكير على لاورا: «لا.. على الأقل.. لا أعتقد هذا. على أي حال لماذا قد يكون هذا الأمر مهماً؟».

هز أوليفر كتفيه.. وارتشف القليل من قهوته.

ـ دون سبب..

لكنها لم تصدقه: «أتظن أن أمك تكذب؟».

ـ ولن تكون المرة الأولى.

ثم لاحظ تعابير وجه لاورا المتألمة فتأوه.. وأضاف: «يا إلهي.. لست أدري.. ربما لا».

ترك مكانه قرب الموقد وجرّ كرسياً عن الطاولة ثم جلس عليه مقابل المدفأة حيث تجلس هي. ثم نظر إلى لاورا: «ما الأمر؟».

تفاجأت بتغييره للموضوع، واتجهت عيناها إلى النافذة مرة أخرى قبل أن تتمكن من لجم نفسها.. لكن، والشكر لله، لم تعن ردّة فعلها شيئاً له.. وبعد أن أقنعت نفسها أن ما رأته اليوم هو من نسج خيالها، هزت رأسها: «أبي ميت.. أو تسألني بعد؟».

تنهد أوليفر: «حسن جداً.. نقطة لك.. لكنك بدوت حين دخلت وكأن شبحاً ظهر أمامك، وتساءلت عما إذا قال لك أحد شيئاً أزعجك».

ـ من؟

كرهت لاورا افتراضه، وبدا الاستياء على محياها.. لكن.. تباً، إنها تفعل ما بوسعها لئلا تكشف له عن مشاعرها الحقيقية وتتفادى أسئلته المزعجة... وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها، لم تستطع مقاومة النظر إليه وإلى قوامه الممشوق وعضلاته القوية.

قال: «لست أدري.. ربما أحد سكان القرية.. متى شاهدت والدك

آخر مرة؟».

بللت لاورا شفتيها: «آه.. منذ حوالى الستة أشهر.. جئت إلى لندن السنة الماضية.. لحضور مؤتمر.. وجاء أبي ليراني».

ـ هل كان على ما يرام؟

ـ أعتقد هذا..

وشخرت بغير ارتياح: «وهل هذا مهم؟».

ـ لا أعتقد.. أنا واثق أنه سرّ برؤيتك.

ـ كما كانت أمك تسعد لرؤيتك.. هل كنت تراها كثيراً مؤخراً؟

ـ حين أستطيع.. أو حين تريد شيئاً.. لقد باتت تحبني كثيراً عندما اكتشفت أنني سخيّ.

أجفلت لاورا: «لماذا لم تكن تطلب من أبي إذا كانت تحتاج إلى المال؟».

بدا واضحاً أن أوليفر ندم على كلماته: «أوه.. تعرفين أمي.. دائماً ينقصها المال».

ـ إذا كان هذا تلميحاً..

بدا القلق عليه: «ليس هكذا.. هيا لاورا.. كل ما أقوله إن ستيلا كانت مبذّرة دائماً. لم يكن لديها يوماً ما يكفي احتياجاتها..».

ـ حسن جداً، هذا هو سبب زواجها بأبي.. إذا كان هذا ما تعنيه، ولكنها لن تواجه هذه المشكلة بعد اليوم.

ـ لاورا..

ـ أعني ما أقول. لقد كان أبي دقيقاً في دفع أقساط التأمين، وأشياء كهذه.. ثم هناك هذا المنزل..

وانكمشت معدتها لفكرة خسارة بينمادوك: «تستطيع الآن بيعه إذا أرادت».

قال أوليفر بجفاء: «لن أعتمد على هذا».

وأخذ رشفة من قهوته.. وتساءلت لاورا عمّا يعنيه.. وسألته:

ـ ألأنها تحتاج إلى مكان تسكن فيه؟

لكن، بدا على أوليفر أنه قال ما يكفي بهذا الخصوص.

أجاب: «أجل..».

وعاد إلى الموضوع الأول: «أتساءل لماذا لم تسمع والدك وهو يصل؟».

ارتفع حاجبا لاورا.

ـ وهل تعتقد أنها كانت في الخارج؟

ـ أعتقد هذا.

وزفر نفساً ساخطاً: «لكن، إذا كان الأمر هكذا، فلماذا لا تقول؟ على أي حال.. لقد قالت للمرأة العجوز إنها ستخرج لتتبضع».

لم يكن لدى لاورا سبب محدد لإطالة التفكير في الظروف التي مات فيها والدها.

ـ لا تدعُ الخالة نيل بالعجوز.. فهي لا تكبر أمك بكثير.

اعترف أوليفر: «هذا صحيح».

ثم غير الموضوع مجدداً وسألها: «هل تكلمت مع محامي والدك؟».

أحست لاورا بعدم الارتياح: «لا.. وأنت؟».

كان أوليفر ينظر إلى النار: «وكيف لي أن أفعل؟ لقد عرفت بما حدث ليلة أمس..».

أحست لاورا بشيء من الندم: «همم.. من المؤسف أن أبي لم يدرك أن أمك كانت في المنزل ساعة عاد.. لربما استطاعت فعل أي شيء لمساعدته».

أومأ أوليفر برأسه موافقاً: «لقد فكرت في هذا أيضاً».

ـ لو.. لو كان هناك أحد.. ماذا قالت لك أمك ليلة أمس؟

قال باختصار: «ليس الكثير».

وافترضت لاورا أن اهتمامات زوجة أبيها كلّها تدور حول شخصها هي.. ألهذا السبب سألها أوليفر عما إذا اتصلت بمحامي والدها؟ الآنَ

ستيلا لا ترغب في أن تعترض الوصية أي عقبات؟

وتابعت لاورا، حين لم يرد: «لم أعلم أنها تمكنت من الاتصال بك. . عرفت أنها اتصلت بمنزلك عدة مرات بالأمس، لكن ذلك الرجل الذي تعيش معه قال لها إنك في الخارج».

ـ توماس ليس شريك سكن لي. . إنه يعمل لدي. . وكما قلت لك ليلة أمس، عدت للتو من سنغافورة بعد الظهر.

ورفضت لاورا التهويل عليها: «همم. . على أي حال لقد تمكن بالتأكيد من السيطرة على أمك. . ».

وصمتت قليلاً، لتسأل مترددة: «وماذا كنت تفعل في سنغافورة على أي حال؟ تصور رئيس الوزراء أم شخصية رفيعة المقام؟».

ـ في الواقع، كنت في ماليزيا. . وتلقيت دعوة للانضمام إلى رحلة استكشافية تتوجه إلى «كامونغ غورج». ربما لم تسمعي به، لكنه في الواقع مكان لا ينفذ إليه سوى ممر ضيق. . وذهبت مع مجموعة من علماء الطبيعة أرادوا أن أصور لهم بعض أنواع النباتات والزهور النادرة التي تنبت هناك.

علقت لاورا بارتجال: «وأعتقد أن هذه الصور كافية لكتابك القادم».

وابتسم أوليڤر ساخراً، وقال، في محاولة لإثارة سخطها: «وكأنك تغارين. . هاي، ما رأيك أن أعطي شركة نيل وأوروورك للنشر، حق الطباعة عندما يجهز النص؟».

ردّت دونما اكتراث: «هذا عائد لك».

ودّت لو ترفض عرضه لكنها تعرف جيداً أن عمّ كونور الذي يملك دار النشر لن يرفض أبداً كتاباً سيتهافت الجميع لشرائه. أضف أنها لم تشعر يوماً بالغيرة من أوليڤر بالرغم من كل ما حدث. . وهو إلى ذلك ابن زوجة أبيها. .

قال برقة: «أنا سعيد لقدومك».

وتمنت لو يستمر في مهاجمتها بقسوة. . فهذا أسهل عليها. .

وأكمل: «لقد تساءلت عما إذا كنت ستأتين أم لا. . فالطقس كان رديئاً جداً. . ماذا قالت أمي حين أبلغتك الخبر؟».

ـ لم تفعل. . لم تبلغني أي شيء، أعني، أن الخالة نيل هي التي اتصلت.

وعقد أوليڤر حاجبيه السوداوين: «فهمت. . حسن جداً. . أنت هنا الآن، وهذا هو الأمر المهم الأساسي. . وعلى ستيلا أن تتغلب على المسألة».

ـ تتغلب على ماذا؟

كانت لاورا مشوشة التفكير، لكن مزاج أوليڤر تبدل سريعاً عندما غيّر الموضوع مرة أخرى: «لقد ازداد وزنك».

وغمرت نظراته فمها بشكل واضح ثم أخفض عينيه إلى جسدها فأشعله بحرارة متأججة، ثم تابع قائلاً: «أجل لقد تغيرت قطعاً منذ المرة الأخيرة التي رأيتك فيها».

قالت لاورا متوترة، وقد حاولت إخفاء الاضطراب الذي يحتمل داخلها، بشيء من الغضب:

ـ إذا كان وزني قد ازداد، فهذا ليس بإطراء.

لم تعد في السادسة عشرة الآن. ولا حتى في الواحدة والعشرين، كما كانت يوم زواجها، وهي المرة الأخيرة التي رآها فيها.

ـ وما الذي يعطيك الحق بإبداء ملاحظات شخصية؟

قال معترفاً: «من المفترض أن يكون هذا إطراء. . فحين تزوجت كنت نحيلة جداً».

ـ أوه. . شكراً. . هذا يجعلني أشعر بأفضل حال.

زفر نفساً: «لقد عنيت ما قلت».

جالت عيناه عليها مرة أخرى، واضطرت إلى تقوية نفسها كي لا تغض طرفها. لكنها كانت واثقة أن اضطرابها بادٍ على وجهها على الرغم من كل شيء. .

وأكمل بصوت أجش: «تبدين رائعة.. ولم تعودي «أختي» الصغيرة».

ردت لاورا: «أنا لم أكن يوماً «أختك» الصغيرة».

ثم أدركت أنها أوشكت على قول الكثير، فأرغمت نفسها على لجم مشاعرها.

ـ على أي حال.. أين الخالة نيل؟ من غير عادتها أن تترك أحداً يستخدم مطبخها.

هز أوليفر كتفيه: «وهل يهم».

استند إلى رف المغسلة ونهض عن الكرسي وهو يتكلم:

ـ أخبريني عنك.. عمّ فعلته منذ حصلت على الطلاق.. لا أعرف حتى الآن ماذا حصل بينكما.. هل كان هناك شخص آخر؟

تراجعت لاورا وهي فوق الكرسي الهزاز تلف أطراف قميصها على صدرها.. كانت خائفة من أن يقترب منها كما فعل ليلة أمس.

قالت وقد أدركت أن صوتها بدا حاداً على الرغم من الجهد الذي بذلته: «أنا واثقة أنك لست مهتماً بي.. ليس أكثر مما أنا مهتمة بك وبصديقاتك».

رد أوليفر بشيء من نفاد صبر: «ليس لدي صديقات.. لدي صديقة واحدة اسمها ناتالي هارلوي.. ربما سمعت بها.. إنها عارضة أزياء».

ـ مفاجأة.. مفاجأة!

ولم تستطع منع نفسها من التطلع إليه.. كانت عيناه تحدقان إليها بشكل معبّر، وبينما راحت تسخر من كلماته، أظلم الانزعاج وجه أوليفر، فأعادت نظرها بسرعة إلى ما تبقى من قهوة في فنجانها.

قال بعد لحظة صمت: «ستعجبك.. هذا إذا تعرفت عليها.. أم أنك أصبحت بعد تجربتك مع الزواج من الذين يشككون في كل شيء، بحيث بتّ عاجزة عن تقبّل وجود بعض الزيجات الناجحة؟».

ارتجفت شفتا لاورا.. ليته فقط يعرف، وفكرت بمرارة.. لم تكن

تجربة زواجها هي التي جعلتها ساخرة، مهما كان يظن.. وأرادت أن تخبره هذا.. أن تمسح التعبير الخبيث عن وجهه بالحقيقة الدفينة في أعماقها. لكنها لم تستطع.. فهي لم تخبر أحداً.. وهو آخر شخص يمكن أن تسرّ إليه بشيء..

قالت: «أنا آسفة. لكن.. المصور الشهير وعارضة الأزياء.. أليس هذا الثنائي مبتذلاً بعض الشيء؟».

عارضها بحدّة: «أنا لا أصور عارضات أزياء».

ولراحتها، ابتعد عنها ليضع كوبه الفارغ في المغسلة.. ثم تابع حديثه وهو يدير ظهره إليها: «أنت وأنا يجب أن نتحدث.. أعتقد أنك ما زلت تحملين أشياء كثيرة من الماضي».

كيف يجرؤ على هذا التفكير؟

أنزلت لاورا ساقيها عن الكرسي ونظرت إلى كتفيه العريضتين بكراهية.. هكذا فقط.. أيعتقد أنه قادر على التخلص من ماضيهما ببضع كلمات؟ لو اهتم بمشاعرها يوماً، لما قال لها شيئاً كهذا.. وإلى ماذا يلمح؟ أيقول إنه يعتقد أنها اشتاقت إليه؟

ردّت قبل أن تمنع نفسها: «لا أظن أن لدينا شيئاً نتكلم عنه..».

استدار إليها: «ها أنت.. أنت تحملين نوعاً من الحقد ضدي. بحق الله لاورا. ألا تظنين أنني عانيت ما يكفي خلال السنوات الماضية؟».

ـ أنت.. عانيت؟

للحظة.. للحظة طويلة مشتتة، أرادت لو تقول له.. وهو يقف هناك، ينظر إليها بعينيه الباردتين المتهمتين.. أرادت بيأس أن تمزق عالمه الضحل إرباً إرباً.. لكن العقل السليم، والإحساس العنيد بالكرامة، جاءا لنجدتها.. وهزت رأسها بارتباك.

ـ أنا.. لا أعتقد أن أي شيء يقوله أحد منا قد يغير مشاعرنا نحو الماضي.

تهاوت كتفا أوليفر: «كنت آمل أن تكوني قد سامحتني.. والله

يعلم. . لقد لزمني سنوات لأسامح نفسي».

ابتلعت لاورا ريقها: «لقد سامحتك. . لكنني لا أريد الكلام عن هذا».

واستدارت نحو الباب لكنه تبعها من الخلف. .

وكانت واثقة أنه أحنى رأسه ليتنشق عطر شعرها.

ـ لا تفعلي هذا بي. . ليلة أمس قلت لي إننا يمكن أن نكون صديقين. صديقان!

كل ما كانت قادرة عليه هو كتم الشهقة التي كادت تفلت منها. لكن ردّة فعله زعزعت ما تبقى لديها من سيطرة على النفس: «دعني أوليڤر. . أظنك نسيت سبب وجودنا هنا».

ردّ: «أنا لم أنس شيئاً».

وأدركت أنه قريب منها بشكل خطير قد يفضح لعبتها. . وما هي إلاّ لحظة حتى خطا إلى الأمام ليواجهها. . وأكمل: «تباً لاورا. . لم يكن كل شيء غلطتي!».

***

٥ ـ رمال متحركة

ـ إذن. . متى موعد الجنازة؟

من الواضح أن ناتالي تحاول أن تكون متفهمة.

ونقل أوليڤر هاتفه النقال من أذن إلى أخرى وهو يريح نفسه مستنداً إلى قائمة السرير.

حاول التكلم بدفء مماثل، فقال: «يوم الثلاثاء. . على ما أعتقد».

غير أنه صعب عليه أن يزيل من تفكيره ما جرى في المطبخ. . فمن حسن الحظ أن خالة لاورا ظهرت في الوقت المناسب. . فالله وحده يعرف، أي عمل أحمق كان سيرتكبه لو لم تقاطعهما.

تأوهت ناتالي: «الثلاثاء! لكن هذا يعني في منتصف الأسبوع القادم».

ـ أجل. . أعرف هذا.

ـ ستة أيام، أليست مدة طويلة. . .؟

قاطعها أوليڤر على مضض: «أعتقد أن الجثة ستخضع للتشريح. . والطقس سيء جداً كذلك».

تنهدت ناتالي: «أعتقد هذا. . لكنهم يقولون إنه سيعقبه طقس دافىء يذيب الثلج».

ـ أوه. . عظيم.

وعرف أوليڤر أن نبرة صوته تفتقر إلى الحماسة ولم يُدهش حين علّقت على هذا الموضوع، واتهمته قائلة: «أنت لا تهتم. . أليس كذلك؟

أنت تعرف أنني سأسافر إلى «أنتيغوا» يوم الخميس. وكنت آمل أن أقنعك بمرافقتي.. ولكن يبدو أنني لن أراك قبل السفر».

- لم أخطط لهذا بهذه الطريقة نات.. أنا آسف.

شعر بالذنب لأنه نسي أمر التصوير في «أنتيغوا» لكنها لم تقتنع: «حقاً أنت آسف؟».

عاد صمت مشحون: «أعتقد «إنها» هناك».

وعرف بالضبط من تقصد لكنه احتاج إلى لحظات ليرتب أفكاره.

- من؟

- تعرف من! لاورا.. كم ستبقى هناك؟.

أحس أوليفر بضيق في معدته: «وهل هذا مهم؟».

- بالطبع مهم.

وتنهدت ناتالي: «أود لو أقابلها.. إذا كانت ستأتي إلى هنا بعد الجنازة..».

قاطعها أوليفر: «أنا لا أعرف، أو أهتم، بخططها.. وعلى أي حال أشك أن يكون لديها وقت للمجيء إلى لندن».

- ولمَ لا؟

- ولم لا.. حقاً؟

وصرّ على أسنانه: «مات والدها لتوه نات.. وسيكون هناك أشياء.. تقوم بها.. شؤون تهتم بها، وعليها أن تنظم أعمال والدها».

سألت ناتالي بدهشة: «لكن ألن تفعل أمك هذا؟».

- اسمعي، أنت تعرفين المحامين.. وإن مثل هذه الامور قد تكون معقدة.

- بكلمات أخرى لا تريد أن تطلب منها.

أحس أوليفر أنه لم يفهم: «أطلب منها؟ أطلب منها ماذا؟».

ردت ناتالي بنفاد صبر: «أن تأتي لتقيم معك.. صدقاً أوليفر.. لِمَ لا تقول هذا بصراحة؟ أنت لا تحبها، وهذا واضح. ولقد بدأت أتساءل ما

الذي حدث بينكما بالضبط منذ سنوات».

كتم أوليفر تنهيدة: «لم يحدث أي شيء! لأجل الله نات.. توقفي عن اختلاق مأساة من كل هذا».

وأخذ نفساً عميقاً: «حسناً.. إذا كان هذا يرضيك، فسأطلب منها أن تأتي لتقيم بضعة أيام قبل عودتها إلى أميركا.. ما رأيك بهذا؟».

سخرت ناتالي منه: «لا داعي لجعل هذا يبدو وكأنني أجبرك».

- بحق الله..

زفرت نفساً سريعاً: «حسن جداً.. سيكون هذا أمراً رائعاً.. طالما تعدني ببعض الوقت بمفردنا بعد عودتي».

أحس أوليفر باندفاع ليقول لها إنها لا تستطيع الحصول على ما تريد.. لكنه لم يكن يرغب في بدء جدال آخر.

- يجب أن أنهي المكالمة صغيرتي.. أريد أن أبلغ توماس بما يجري، وعلي القيام ببعض الترتيبات.

والحمد لله، بدت ناتالي متفهمة في هذا: «أعرف».

وفي الوقت الذي اعتقد فيه أنه تحرر منها، صاحت: «هاي.. لدي فكرة رائعة.. لِمَ لا تدعو أمك إلى لندن مع لاورا؟ سيكون هذا بمثابة فرصة لها لكي ترتاح.. أليس كذلك؟ وقد يساعدها هذا لتهدأ قليلاً بعد الجنازة، وأنت تعرف كم أريد أن ألتقي بعائلتك».

التوت شفتا أوليفر، وقال بحدة: «سوف.. أفكر بالأمر.. وداعاً حبيبي.. سأتكلم معك قريباً».

كتمت ناتالي ما بدا شهقة بكاء مشكوك فيها: «تأكد من أن تتصل.. أحبك».

- أجل.. وأنا كذلك.

أعطاها أوليفر رده الآلي. لكنه أحس بالارتياح دون خجل حين انتهت المكالمة. يا إلهي! متى أصبحت حياته معقدة هكذا؟ لم تكن كذلك.. قبل مغادرته ماليزيا، بدا له كل شيء بسيطاً.. لديه عمل يحب القيام به،

ومنزل يحسده عليه الكثير من أصدقائه، وهو يحب امرأة جميلة، تكنّ له بدورها حباً جمّاً.

لو أنه صادق مع نفسه، لاعترف أن الأمور لا تزال على حالها... أقلّه ظاهرياً. فما زال في عمله.. وما زال لديه منزل.. وما زال يحب ناتالي، وهي تحبه.. إذن، لماذا يشعر وكأن كل شيء حققه، وآمن به طوال هذه السنوات، أصبح فجأة فوق رمال متحركة؟

لاورا.

وعبس.. لم يكن مضطراً للنظر بعيداً ليجد الجواب.. إنها الطريقة التي نظرت فيها إليه هذا الصباح.. بشيء من.. ماذا؟ الشفقة؟ التمرد؟ الازدراء؟.. كل هذا ارتسم في تعابير وجهها، فشعر أن الأرض تميد به.. إنها تحتقره.. وتبدد إيمانه بأنهما قد ينسيان الماضي كما اندثر أمله بأن أمّه قد تغيّر ما في قلبها.

ولكن لا يمكنها إلقاء كل اللوم عليه.. فليس هو من أخذ زمام المبادرة في خضمّ تلك الأحاسيس، بل هي...

وعندما تقلع عن لومه على ما كان يمكن أن يحصل منذ فتحت باب الغرفة عليه...

علقت أنفاسه في حلقه عندما سمع أحدهم يقرع بابه... ومرّر يده المرتجفة في شعره المشعث.. وهو يفكر، يا إلهي! لا يمكن للتاريخ أن يعيد نفسه.. هل هذا ممكن؟ وهل يريد هو هذا؟

شعر بالغضب يجتاحه عندما تسارعت نبضات قلبه. أنزل قدميه إلى الأرض واستعد للنهوض. عندئذٍ أدخلت أمه رأسها من الباب مستفهمة:

ـ هل ارتديت ثيابك؟

ودون انتظار الرد دخلت الغرفة بسرعة.

ـ كنت أبحث عنك.. ماذا تفعل هنا؟

رمق أمّه التي لا تزال ترتدي ثوب النوم بنظرة باردة: «وهل يجب أن أرد على هذا السؤال؟».

ورمى الهاتف النقال على الطاولة: «كنت أتصل».

ـ بناتالي؟

لسبب ما، قررت ستيلا أن تبارك علاقتهما... وافترض أوليڤر ساخراً أنها فعلت هذا كي تتأكد أنه لن يحاول مصادقة لاورا مجدداً.. ثم تابعت ستيلا:

ـ يجب أن تأتي بها يوماً لمقابلتي.. إنها شابة جميلة جداً.. في الواقع، إنها تذكرني بنفسي وأنا أصغر سناً.

نظر أوليڤر إليها نظرة منكمشة: «حقاً؟».

ـ أجل حقاً.

استدار أوليڤر، واستند إلى حافة النافذة خلفه بطريقة لا مبالية: «هل قررت ماذا ستفعلين؟».

فوجئت ستيلا، وقالت بخشونة: «لا.. لم أقرر، وهل حظيت بالوقت لأفكر بالمستقبل؟ كنت مشغولة جداً في محاولة التأقلم مع الحاضر».

زفر أوليڤر نفسه: «ماذا تريدين إذن؟».

ـ أوه أوليڤر.. لا تكن قاسياً هكذا.. ألا يمكن أن أتكلم مع ابني على انفراد دون أن يظن أنني أريد شيئاً؟

كوّر أوليڤر فمه: «وهل تريدين أن أرد على هذا؟».

مطت شفتيها: «أنت لا تهتم.. أليس كذلك؟ أنا أمك وأنت لا تهتم مع أنني على وشك أن أرمى خارج منزلي».

رد بصراحة: «لست واثقاً من هذا.. أنت فقط تفترضين ما قد تفعله لاورا».

ردت أمه بخشونة: «حسن جداً.. لا أحتاج إلى كرة بلورية لأرى المستقبل فيها وأعرف كيف ستكون ردة فعلها حين تعرف. يجب أن تساعدني أوليڤر.. أنا أعتمد على دعمك».

تنهد أوليڤر: «سأفعل ما في وسعي طبعاً.. لكن..».

استحالت نبرة ستيلا عاطفية بعض الشيء: «لكن ماذا؟ هل تقول إنك لن تساعدني؟».

تأوه أوليڤر: «بالطبع لا أقول هذا. . لكنني لا أعرف كيف تظنينني قادراً على مساعدتك؟».

جففت أمه طرف عينيها بزاوية كمها. وقالت ما افترض مسبقاً أنها ستقوله: «الوصية. . أتظنها قانونية؟».

واستسلم أوليڤر: «لا أعتقد أن هذا أمر يمكن السؤال فيه. . ألا تظنين هذا؟».

ـ لكنني. . أعني. . كنت. . زوجته وأعتقد أنه حين يموت الزوج ترث الزوجة أملاكه.

قال أوليڤر بصراحة: «إلا إذا ترك وصية. . وحتى في هذه الحالة، لا تكون الأمور سهلة دائماً».

أصدرت ستيلا صوت تفجع: «لم أكن أعرف أن غريف ترك وصية. . لم يقل لي. . ألا تظن إنه كان يجب أن يقول لي؟».

وافق أوليڤر: «حسن جداً. . كان يمكن أن يكون هذا أكثر إحساناً لك. . لكن، ولسبب لا يعرفه سواه، قرر أن يخفي الأمر عنك. .».

ولم يكن في صوت ستيلا أي تعاطف وهي ترد: «كان حقيراً لأنه جعل تلك السافلة الصغيرة وريثته!».

قال أوليڤر: «هذا المنزل كان لأسرة لاورا قبل أن تتزوج أمها من غريف. . ولذا اعتقد أنه مدين لها بفرصة تقرير مصير المنزل».

ـ لكنه منزلي!

ذكرها بلطف: «وكان منزلها، ومنزل ماغي تينباي قبلها».

ـ إذن. . أنت إلى جانبها. . ولا تهتم لما يحصل لي. .

لم يتأثر أوليڤر بدموع أمه الجاهزة: «أنا لست إلى جانب أحد. . وأعتقد أنه عليك أن تكوني واقعية بهذا الخصوص».

ارتفع صوت ستيلا: «واقعية! وأنا أطرد من منزلي؟».

زفر أوليڤر نفساً قلقاً: «سبق أن قلت لك. . أنت لا تعرفين هذا بعد».

قالت ستيلا: «لا أعرفه؟».

ـ حسن جداً. . لو لم تجدي الوصية، لما كنت قلقة إلى هذا الحد. . أقلّه ليس الآن. وإذا كان هناك شيء غير قانوني، فهو فتح مغلّف ليس معنوناً باسمك. . ولو انتظرت. .

كشرت أمه وجهها: «إلى ما بعد الجنازة تعني؟ أظن أنه كان عليّ أن أترك ذلك اللص، ماركوس ڤيننغ، حتى يقول لي إن غريف لعب لعبة قذرة عليّ».

هز أوليڤر رأسه: «أنت تبالغين. . كيف وجدت الوصية على أي حال؟ هل كانت في منضدة غريف؟».

نظرت ستيلا إليه بغضب: «وكأنما قد يفعل شيئاً كهذا! غريف يحتفظ بوثائقه الهامة في خزنته».

نظر إليها مرتاعاً: «في خزنته! لم أعرف أنه أعطاك مفتاح خزنته».

هزت كتفيها: «لم يعطني إياه. . كان يضعه في درج المنضدة».

ازداد ارتياع أوليڤر: «أتعنين أنك فتشت منضدته قبل أن تتصلي بسيارة الإسعاف؟».

قالت بلهجة المدافع عن نفسه: «لا. . فأنا أعرف مكانه منذ زمن بعيد. ولقد. . فكرت أنه عليّ أن أعرف. . لأجل. . حسناً. . للطوارىء».

قال أوليڤر بقسوة مريرة: «مثل موته المفاجىء. . تعنين؟».

مطت ستيلا شفتيها: «لا ترتعد حبيبي. لم أعرف أنه سيصاب بنوبة قلبية! بدا بكامل صحته حين غادر المنزل صباح الأربعاء».

ـ وهل رأيته قبل أن يخرج؟

تنهدت: «لا. . أنت تعرف كم يخرج الصيادون باكراً».

وتنهدت مرة أخرى: «أعتقد أنه خرج بعد الثامنة والنصف».

ـ إذن. . كيف عرفت. .؟

ـ كيف عرفت أنه على ما يرام؟ نيل قالت لي هذا، طبعاً. فهي دائماً تصحو عند الفجر.

قطب أوليڤر جبينه: «ولم يقل إنه يشعر بالتعب؟ في الليلة السابقة مثلاً؟».

ـ أبداً..

وصمتت: «أوه.. من الأفضل أن تعرف.. غريف وأنا لم نتشارك غرفة منذ سنتين. وأنت تعرف كيف يتصرف الكبار في السن.. إنهم يشخرون.. كان هذا يرهقني.. واعتقدت أن من الأسهل لكلينا أن ننام في غرفتين منفصلتين».

هز أوليڤر رأسه: «لم يكن غريف كبيراً في السن إلى هذا الحد».

ـ أعرف هذا حبيبي.. لكن الكثير من الأزواج ينامون في غرف منفصلة هذه الأيام.. ثم إن هذا كان يناسبه كما يناسبني.

ـ حقاً؟

ـ ماذا تعني؟ أتظن أن هذا هو السبب الذي دفعه لتحرير وصيته؟

ـ لست متأكداً. من يدري... ربما تساءل عما إذا كنت لا تهتمين لأمره.

ـ أوليڤر! كيف تقول شيئاً كهذا؟ لقد أحببت غريف.

ـ أعتقد هذا.

ـ تعتقد هذا؟

تملك الغضب ستيلا، لكن أوليڤر لم يستطع سوى أن يتذكر ماذا قالت له حين طلب منها غريف الخروج معه للمرة الأولى... ولا بد أنها سُحرت ببينمادوك وبالعيادة البيطرية التي يملكها قرب روزماور، حينما كانت تكافح هي لإعالة نفسها وابنها. وستيلا لا تنتمي إلى روزماور، فقد ولد أوليڤر في لندن، ولكن بعدما أحبت رجلاً نرويجياً يعمل بمعدات البترول لحقت به إلى «كاردف».. ولم يعرف أوليڤر أباه قط وعلاقة أمه بالنرويجي لم تدم طويلاً.. حين ظهر غريف ويليامز على المسرح، كانت

تعمل ساقية، ويعرف أوليڤر أنها نظرت إليه على أنه فرصتها الأخيرة لتحقيق شيء في حياتها.

وتذكر أوليڤر أن تلك الأيام لم يكن فيها كلام كثير عن الحب.. فهو ووالدته كانا يعيشان في شقة حقيرة من غرفة واحدة.. وكان مضطراً للنوم على الأريكة، ممّا كان يشكل نوعاً من الانزعاج لستيلا عندما كان يأتي أحدهم لزيارتها في البيت، وتعرّفت إلى رجلين قبل غريف، فباتت شبه محترقة حين وقع أرمل ثري في سحرها.

واعترف لنفسه بمرارة: «الحظ غريب، لو لم تعرض ستيلا على السيدة ويڤر العجوز أخذ قطتها إلى الطبيب البيطري، لما التقت بغريف..».

تأوهت ستيلا تلهيه عن أفكاره: «أوه.. أوليڤر.. ماذا سأفعل؟».

ونزلت عن السرير، ورمت منديل الورق في سلة المهملات ووقفت داخل باب الحمام تماماً.

ـ يجب أن تساعدني.

تنهد أوليڤر: «سأحاول. لكن قبل كل شيء، عدني أنك ستنسين أنك رأيت الوصية».

ـ وكيف يمكنني هذا؟

نصحها أوليڤر متجهماً: «افعلي هذا. وتذكري.. سيكون هذا صدمة للاورا كذلك.. ثم ماذا يدفعك للظن أنها تريد العودة للعيش هنا بعدما وجدت لنفسها حياة أخرى في نيويورك؟».

اتسعت عينا ستيلا: «وهل تعتقد..؟».

ـ أنا لا أعتقد شيئاً.. بل أحاول فقط أن أجعلك تفهمين أن مصلحتك تقتضي أن تتصرفي وكأنك لا تعرفين شيئاً.. لاورا ليست متوحشة.. وهي متألمة كذلك. وقد تكون محسنة.

ـ محسنة! أنا لا أريد إحسانها.. فهذا البيت بيتي!

وكان من الواضح أن الكلمة خنقت حنجرتها.

قال أوليڤر بصراحة: «لا. . ليس كذلك. ومن الأفضل لك أن تتقبلي الواقع. . والعوز لن يطالك، فستتم إعالتك جيداً».

ـ بأربعين ألفاً في السنة! كيف بحق الله يعتقد أنني سأتدبر أمري بمثل هذا المبلغ في السنة؟

ـ أربعون ألفاً تكفي أياً كان ليعيش. اللعنة! معظم الناس يعيشون بأقل من هذا بكثير. نحن كنا نعيش بأقل من هذا.

ـ هذا كان في الماضي. . ونحن نعيش الآن. ولست معتادة على التقشف والتوفير وأنت تعرف هذا. . ظننت أنك أنت من بين كل الناس ستفهم.

رد أوليڤر بحدة: «أنا أفهم. . وأفهم أنك عشت لسنوات بأكثر من إمكانياتك».

كتمت ستيلا أنفاسها: «سوف أطعن بصحة الوصية. . هذا ما سأفعله. ولن يفلت بفعلته».

أحس أوليڤر بالاشمئزاز: «أمي! لا يمكنك فعل هذا. . ليس لديك أي دلائل ثابتة».

ـ أعرف حقوقي.

ـ لا. . أنت لا تعرفين حقوقك. . القاضي أو الحاكم أو كائناً من يكون، سيعتبر أنّ غريف خصّك بمصروف أكثر من لائق.

ـ بمثل هذا المبلغ التافه!

ـ وهل تعرفين بالضبط كم ترك غريف من مال؟

رفعت ستيلا رأسها: «ليس بشكل دقيق. . لا. . لكن، هناك هذا المنزل. . ولا بد أنه يساوي. . لست أدري. . ربما نصف مليون. ثم كان له عقد تأمين وأشياء أخرى».

قال متأففاً: «اسمعي. . أقترح أن نترك الأمر في الوقت الحاضر إلى أن تتم تلاوة الوصية. . ».

غيرت ستيلا لهجتها: «لكنك ستكون موجوداً هناك، لأجلي، أليس

كذلك؟».

حاول أوليڤر ألاّ ينفر منها، لكنه أحس بنفسه ينسحب. . يريد أن يبتعد عنها. . أن يضع مسافة بينهما. . ولطالما كان الأمر هكذا مع أمه، فهي دائماً على استعداد تام أن تنسى وجوده لأشهر، ثم يحدث شيء، شيء طارىء تنتحب له، فترسل في طلبه، متوقعة منه أن يتصرف وكأن علاقة طبيعية تجمعهما، في حين لم يكن بينهما يوماً مثل هذا الرباط.

قال: «اسمعي. . لن نستطيع شيئاً إلى ما قبل الجنازة، فلِمَ لا تذهبين وترتدين ملابسك، ثم نناقش الترتيبات التي علينا القيام بها؟».

احتجت أمه: «لا أستطيع التفكير بأشياء كهذه الآن. . تحدث إلى نيل، فهي ستناقش الأمور معك. وستقول لك ماذا تبقى لتفعل».

ـ لا أظن هذا ماما.

ـ ولا تناديني ماما، تعرف أنه لا يعجبني.

هز كتفيه: «على أي حال. . سأكون في المكتبة حين تغدين جاهزة لنتكلم».

وعندما تحركت قاصدة نحو الباب، سألها: «بالمناسبة، أين كنت عندما أصيب غريف بالنوبة القلبية؟».

ـ أين كنت؟

جمدت مكانها ويدها لا تزال على مقبض الباب، تنظر إليه بعينين قلقتين: «ماذا تعني أين كنت؟ تعرف أين كنت. . قلت لك. . كنت هنا. . بالطبع».

ـ في المنزل. . أجل. . لكن أين بالضبط؟

بدا عليها الغضب: «وهل هذا مهم؟».

ـ أجيبيني.

قطبت جبينها قائلة: «كنت فوق. . إذا كنت تصرّ أن تعرف. . مستلقية في السرير. . كنت متعبة».

ـ بعد جولة التسوق؟

ـ ماذا؟ . . أوه . . أجل . .

وابتلعت ريقها بصعوبة وسرعة: «أجل . . بعد جولة التسوق».

ـ إذن . . لم تسمعيه يصل إلى البيت.

ـ أنا . . ربما سمعته.

ـ لكنك لم تنزلي لتري كيف حاله . . أو أي شيء من هذا القبيل؟

غضبت ستيلا: «ما هذا؟ نوع من الاستجواب؟ أتظن أنني لم أعذب نفسي بمعرفتي أنني لو نزلت لكان من الممكن أن أفعل شيئاً لمساعدته؟ كان الأمر فظيعاً أوليڤر! فظيعاً! ولا أريد أن أمر بمثله مرة أخرى».

تردد أوليڤر: «و . . كنت وحدك حين وجدت . . أعني وجدته؟».

ـ طبعاً كنت وحدي . . وماذا تظن؟

ضاقت عيناها تفكيراً: «ماذا قالت لك نيل تنباي؟».

ـ وماذا يمكن أن تقول؟

ردّ أوليڤر السؤال عليها . . فرفعت رأسها ساخطة، وفتحت الباب بحدّة: «أقترح أن تحول تحليلك وسرعة خاطرك، لتجد حلاً لمشكلتي بدلاً من استجوابي . . وتذكر أين يجب أن يكون ولاؤك».

وصفقت الباب وراءها، وزفر أوليڤر نفساً متعباً، كان هذا كل ما يحتاج إليه، أن تظن أمه أنه انقلب ضدها . .

استدار إلى النافذة . . لقد توقف تساقط الثلج مرة أخرى، لكن السماء لا تزال مثقلة بالغيوم، وتهدد بالمزيد وتساءل ما إذا كان هذا سوف يؤخر الدفن، ثم تذكر أن مدفن أسرة تنباي يقع في فناء الكنيسة في القرية . . وسيرقد غريف إلى جانب زوجته الأولى . . لقد انتهت مشاكله، لكن أوليڤر شعر بأنّ مشاكله هو قد بدأت لتوها.

* * *

وصل ماركوس ڤيننغ صباح يوم الاثنين.

أمضت لاورا نهاية الأسبوع وهي تحاول تجنب أوليڤر وأمه، ودهشت

حين جاءت الخالة إلى غرفة الاستقبال، لتبلغها أن المحامي ينتظرها في المكتبة.

قالت المرأة المسنة بلطف: «فكرت أنك ستفضلين رؤيته هنا بدلاً من مكتب أبيك الخاص . . وأعتقد أنه يريد مناقشة ترتيبات ما بعد الجنازة معك».

نظرت لاورا إليها نظرة حيرة: «معي؟ هل أنت واثقة أنه لا يريد التحدث إلى ستيلا؟».

ففي أي حال، كان أوليڤر من أمضى معظم وقته بترتيب أمور الجنازة ولا بدّ أنه مؤهل أكثر منها لمواجهة هذا الموقف.

وأصرت الخالة: «يريد التحدث إليك. هل أنت مستعدة؟».

ـ أوه . . حسن جداً . . أجل، أنا مستعدة.

وضعت لاورا الصحيفة جانباً دون اهتمام ووقفت: «أين الآخران؟».

قالت الخالة نيل بقرف: «لا تزال في غرفتها».

وعرفت لاورا من تعني: «أما أوليڤر . . فأعتقد أنه خرج بعد الفطور».

حاولت لاورا أن تسأل إلى أين ذهب لكنها استدركت أن ذلك ليس من حقها . . . فعدا التعليقات المتفرقة التي تبادلاها أثناء الطعام، لم يتبادلا الحديث مع بعضهما منذ صباح يوم السبت . . واعترفت في نفسها أنها تحب لو تبقى الأمور على هذا المنوال.

تبعت لاورا خالتها خارج الغرفة، ثم اجتازت الردهة المؤدية إلى المكتبة بمقاعدها الوثيرة ورفوف الكتب اللامتناهية . . . وتوقفت عند الباب، تتوقع رؤية أبيها يتدفأ أمام نار الموقد.

لكنها سرعان ما بدّدت هذه الفكرة من رأسها ولحسن الحظ لم تعد تلك التخيلات تراودها. استعادت توازنها عندما رأت ماركوس ڤيننغ يراجع بعض الأوراق، وبادرته بابتسامة رقيقة قبل أن تمد يدها لتصافحه: «سيد ڤيننغ».

وقف ماركوس احتراماً ودنا منها يصافحها: «عزيزتي . . أنا آسف جداً

بشأن والدك . . كان رجلاً طيباً . . وسنفتقد إليه كثيراً».

تمكنت من كبت دمعة : «أجل . . سنفتقده . . تسعدني رؤيتك مجدداً سيد فُيتنغ . . مرت ثماني سنوات منذ لقائنا الأخير».

ـ وفي ظروف أكثر بهجة .

وترك يدها ليضع يديه وراء ظهره ، وأكمل ، وكأنها بحاجة أن تتذكر : «في حفل زفافك . . هل زوجك معك؟» .

ـ آه . . لا .

وأشارت إليه ليتفضل بالجلوس وجلست قباله .

ـ ألم يقل لك والدي؟ كونور وأنا تطلقنا منذ ثلاث سنوات .

بدا عليه الحرج بوضوح : «أوه . . أنا آسف . . ما كنت سألتك لو كنت أعرف» .

ـ لا يهم حقاً . .

ولكن منذ رأت لاورا أوليڤر ، أدركت أن زواجها كان غلطة حقاً .

ـ حسن جداً . . إذا كنت واثقة . .

ـ أنا واثقة .

ـ إذن أنا سعيد لأجلك .

وابتسم لها : «ليس لأنك تطلقت طبعاً . . بل لأنك وجدت السعادة مع شخص آخر» .

احمر وجه لاورا : «أنا . . لم أقل هذا» .

ـ أوه . . لكنني ظننت . . أما زلت تعيشين في نيويورك؟

قالت تشرح ، وهي مسرورة أن أوليڤر غير موجود ليسمع .

ـ أجل . . لكن هذا لأن عملي هناك . . آه . . كيف أستطيع أن أساعدك؟

ـ آه . .

رتب المحامي المسن الوثائق التي كان يراجعها ، وأعادها إلى حقيبة أوراقه .

ـ حسن جداً . . الآن ، أعرف أنك تمرين بوقت عصيب ، لكنني أريد أن تعرفي أنه يمكنك الاعتماد عليّ في كل شيء» .

ـ شكراً لك .

ابتسمت لاورا ابتسامة صغيرة ، واعترفت لنفسها أن من اللطف منه أن يأتي من روز ماور ليقول لها هذا . .

تابع المحامي بعد لحظة صمت : «تعرفين بالطبع . . أنني تلقيت مخابرة هاتفية من زوجة أبيك مساء الأمس» .

وأعادت لاورا النظر في رأيها عن سبب مجيئه .

ـ أنا . . لا . . هل هناك مشكلة؟

تنهد المحامي : «حسن جداً . . أجل . . وإذا كانت السيدة ولبامز طريحة الفراش . . » .

لم تستطع لاورا التغاضي عمّا قاله بدون أن تستفهم : «طريحة الفراش . . لم أعرف هذا» .

وحاولت أن تتذكر متى رأت ستيلا في الطابق الأسفل؟ مساء السبت؟ أجل . . مساء السبت .

تابع المحامي بخشونة : «حسن جداً . . حسب قولها . . يرى الطبيب أنها تحملت الكثير . . وأخشى ألاّ تسمح لها صحتها بحضور الجنازة . . » .

أجفلت لاورا : «لا! لا . . هذا غير صحيح» .

ـ حسن جداً . . إذا كان الحزن قد أضنى زوجة أبيك . . .

لم تلاحظ لاورا أن ستيلا أضناها الحزن . . بل على العكس ، لاحظت وقت العشاء ليلة السبت أنها كانت تلتهم كل شيء أمامها ، وقاطعته : «أضناها الحزن؟» .

قال العجوز بلطف : «أعرف أنك لا تتفقين معها لاورا ، لكن في هذه الظروف عزيزتي . . » .

قاطعته مجدداً بإصرار : «ستيلا ليست طريحة الفراش . . فلماذا تقول شيئاً كهذا؟» .

تناهى إلى سمعها صوت مألوف بغيض يقول: «ربما تلقت الكارثة بأقسى مما تعتقدين».

والتفتت لاورا من فوق كتفها لتشاهد ابن زوجة أبيها يقف في الباب. . . كان قد أرخى ذقنه وارتدى ملابسه الأنيقة وكأنه يستعد للخروج. . .

بدا واضحاً أن ماركوس ڤينتغ ارتاح لتدخلّه.

ـ أوليڤر. . كيف حالك يا بني؟

ووقف ليكمل: «أنا آسف لأننا نلتقي مرة أخرى في ظروف حزينة كهذه».

استعاد أوليڤر لباقته، فاستقام عن الباب وتقدم ليصافح الرجل.

ـ أجل. . تسّرني رؤيتك أيضاً. . ماركوس. تبدو بصحة جيدة.

ـ شكراً لك. إذن، لا يبدو عليّ أنني سأدفن قريباً تحت التراب؟

ابتسم أوليڤر: «أبداً. . هل اعتنت أختي بك جيداً فكما سمعت أمي متعبة الآن».

ـ أختك. .

صاحت لاورا بنبرة جافة: «أنا لست أختك. . وبما أن أوليڤر الآن هنا، يمكن أن يؤكد لك أن أمه. . أن وجود أمه في الفراش. . هو طوعي تماماً».

ضاقت أسارير أوليڤر: «كما قلت من قبل. . أعتقد أن أمي تجد الأمر متعباً جداً».

ـ وهل تظن أنني لست متعبة؟

وتجاهل أوليڤر سخطها، ونظر إلى المحامي: «أنت تفهم. . أليس كذلك ماركوس؟».

ـ ماذا؟. . أوه. . أنا. . طبعاً.

لكن لاورا كرهت النظرة التي تبادلها الرجلان في تلك اللحظة. . فقد دلّت على اتفاق بينهما لم تستطع فهمه. . ووقفت لأنها لم تعد تتحمل

الجلوس.

سأل أوليڤر: «إذن. . هل هناك شيء آخر؟».

ونظرت إليه بغضب. . كيف يجرؤ على التصرف وكأنها أكثر حماقة من أن تواجه الموقف بنفسها؟

رفع ماركوس رأسه من حقيبة أوراقه: «أوه. . أجل. كنت أتساءل عما إذا كانت لاورا تريد الذهاب لرؤية والدها قبل. . قبل الغد».

ومدّ يده يربت على ذراعها: «سأكون سعيداً بمرافقتك، عزيزتي».

قال أوليڤر على الفور: «إذا أرادت الذهاب. . فسآخذها بنفسي».

رمقته بنظرة غضب وكراهية فيما كانت تحاول أن تستوعب أن ما عناه ڤينتغ، هو جثة أبيها. . الممددة في قاعة الكنيسة في روزماور. ولم تستطع التفكير على الفور بأي سبب معقول لرفض عرضه. . وأضاف أوليڤر: «أنا واثق أن لديك التزامات أخرى ماركوس، فلا داعي لأن تزعج نفسك فلدى لاورا عائلة تهتم بها».

ففرت لاورا فاها. . أسرة كيمب ليست عائلتها. . لكن ماركوس ڤينتغ فضّل مرة أخرى ردّ ابن زوجة أبيها وقال: «حسن جداً. . إذا كنت واثقاً من هذا أوليڤر. ويجب أن أعترف، أنني مشغول جداً، فإذا عذرتماني. . .».

قاطعته لاورا، قبل أن يكمل: «أفضل أن أذهب بمفردي».

ونظرت إلى أوليڤر باحتقار وهي تقول: «أنا واثقة أنك ستفهم».

سأل بصوت ناعم يخفي اللمعان في عينيه: «وكيف تقترحين أن تذهبي إلى هناك وتعودي؟ ليس لديك سيارة».

ـ سأستقل سيارة أبي.

ـ وهل تخططين لأخذ تلك «السيارة» القديمة في طقس كهذا. .

ـ ولمَ لا؟

أدرك ڤينتغ بعد فوات الأوان أنه تسرع بقبول عرض أوليڤر:

ـ اسمعا. . لا داعي لكل هذا. . يمكن للاورا أن تذهب معي إلى

روزماور».

رد أوليڤر بواقعية مقتضبة: «وكيف ستعود إلى هنا؟ لا بأس ماركوس سوف تتدبر الأمر».

أحسّت لاورا بأنها ترتجف، وهي ترافق المحامي العجوز إلى الباب. فهذا المنزل لم يعد ملكاً لأبيها.. اللوحات، والأثاث، وحتى الكتب التي كانت جزءاً لا يتجزأ من طفولتها لم تعد لها لتستمتع بها.. والسيارة التي قالت إنها ستستخدمها لم تكن لها.. كل شيء الآن أصبح ملكاً لزوجة الأب. ولأوليڤر.. فلا عجب إذن أن يشعر أنه قادر على إصدار الأوامر.. فهي الدخيلة الآن.. وليس هو.

أغلقت الباب خلف المحامي، ورغبت في الهروب إلى غرفتها، لكن أوليڤر وقف في أسفل السلم يسد عليها الطريق.

ـ ماذا ستفعلين؟

رفعت لاورا رأسها: «هذا شأني أنا».

ـ ألا تريدين الذهاب لرؤية والدك؟

تهاوت كتفا لاورا: «اسمع.. لا تدفعني أوليڤر. أعرف أنك تشعر بالسلطة هنا، لكن إذا أردت الذهاب لأرى أبي.. فسأقوم أنا بترتيباتي».

تأوه أوليڤر: «لماذا تفعلين هذا؟ لقد عرضت أن آخذك، وسأفعل. لكن..».

وتنهد: «.. إذا أصريت على الذهاب بمفردك، يمكنك استخدام سيارتي».

حاولت الالتفاف عليه: «لا.. شكراً».

ـ ولمَ لا؟

ـ يمكنني أن أطلب سيارة أجرة.

نظر إليها بإشفاق: «أجل.. هذا صحيح.. لكن هل تظنين أنك قادرة على إقناع سائق سيارة أجرة أن يجتاز هذه المسافة كلها، ليأخذك إلى روز ماور ثم يعيدك؟».

سألت بدورها: «ولمَ لا؟».

ـ كوني واقعية لاورا.. لست في أميركا.. هل نظرت إلى الخارج؟ الطرق خطيرة.. وقد تكونين محظوظة إذا أقنعت أحداً بالقيام بهذه الرحلة.. لكنني لن أمنعك.

هزّت لاورا كتفيها: «إذن.. لن أذهب».

تمتم أوليڤر شاتماً من بين أسنانه: «أنا لا أعرض استخدام سيارتي على أحد، فخذيها طالما أقدمها لك».

ترددت لاورا، وقالت معترفة على مضض: «لست معتادة على سيارتك.. وكما قلت أنت، الطرقات زلقة في الخارج.. ولا أرغب في أن أصدمها بشجرة أو بأي شيء.. فسيارتك، باهظة الثمن».

تأوّه بنفاد صبر: «من يهتم بالسيارة؟ لن أهتم لو أصيبت بضرر بسببك بل سأهتم أكثر لو أصبت أنت بمكروه».

التوت شفتا لاورا: «شكراً».

ـ إذن.. ماذا ستفعلين؟

عضت شفتها: «أعتقد أن من الأفضل أن ترافقني.. هذا إذا لم يكن لديك شيء أفضل تفعله».

رفع أوليڤر عينيه إلى السماء: «وإذا كان لدي شيء أفضل؟».

ـ لكنك قلت..

هزّ رأسه، وقال باستسلام: «أحضري معطفك.. سأذهب لأدير المحرك».

أحضرت لاورا من خزانتها معطف الكشمير الرمادي الداكن، وارتدته فوق كنزة وبنطلون من الصوف.. وهرولت على السلم.

وقررت أن تعلم خالتها بأنها راحلة. فدخلت المطبخ حيث رأتها تطهو.. رفعت هذه الأخيرة نظرها مستفهمة حين دخلت لاورا.. فسألتها بعد أن لاحظت أنها بدّلت ملابسها: «إلى أين أنت ذاهبة؟».

ـ أنا.. أنا ذاهبة إلى روزماور مع أوليڤر.

ـ وهل ذهب ماركوس ڤينتغ؟

نسيت لاورا أمر المحامي أمام لهفتها للخروج مع أوليڤر: «أوه.. أوه.. أجل. لقد ذهب منذ دقائق.. آسفة».

نظرت إليها الخالة: «إذن؟ هل ستخبرينني بما كان يريد؟».

ـ حسن جداً.. أجل.. يبدو أنه تلقى مكالمة هاتفية من زوجة أبي، وقالت له إنّ صحتها قد لا تسمح لها بحضور الجنازة.

ـ ماذا؟

كشرت لاورا وجهها: «هذا ما قال.. ويبدو أنها قالت له أيضاً إنها طريحة الفراش».

ـ لم أعلم بذلك.

ـ هذا ما قلته له أنا أيضاً..

ـ وهل هذا هو السبب الوحيد لمجيئه؟

لعقت لاورا شفتيها: «لا.. أظنه أراد أن يقدم لي مواساته و.. ويسأل عما إذا كنت أنوي الذهاب لرؤية والدي».

هزت المرأة المسنة رأسها: «آه..».

وأدركت لاورا أن خالتها قد ترغب في المجيء معها.

ـ إذن، لهذا السبب سيأخذك أوليڤر إلى روزماور.

ترددت لاورا: «أجل.. هل ترغبين في مرافقتنا؟».

هزت الخالة رأسها نفياً: «ولماذا أذهب؟ ألم أكن هنا حين توفي المسكين؟».

أخذت لاورا نفساً عميقاً:

ـ لم أفكر بهذا.

نظرت نيل إلى ابنة أختها بقلق: «لا يهم.. وهل ستكونين بخير؟».

ـ على أحدنا أن يبقى صامداً.. حسب قول أوليڤر، تجد أمه صعوبة في تحمّل خسارتها.

ـ خسارتها؟ لكن المرأة لم تهتم يوماً بسوى نفسها.

ـ أوه خالتي نيل.. أعرف أنك لا تحبينها.. وأنا أيضاً.. لكن علينا جميعاً أن نتكاتف في وقت كهذا.. أليس كذلك؟

قال أوليڤر وهو يدخل المطبخ:

ـ يبدو لي كلاماً جيداً.. هل أنت جاهزة؟.

***

٦ ـ مشاعر بلا قرار

كانت الشمس مشرقة حين خرجا من قاعة الجنازات.

وبدا ذوبان الثلج واضحاً في روزماور، أكثر منه في بينمادوك.

كان أوليڤر قد أوقف السيارة خلف المدافن... وأثناء توجههما إلى السيارة، شعر أن لاورا سعيدة بدفء الشمس إلاّ أنه شعر بأنها تمنت لو لم تحضر إلى هنا فالجثة الهامدة والشاحبة التي ترقد في النعش، لا تشبه أبداً ذاك الرجل الذي يضج نشاطاً.

ـ هل أنت بخير؟

ونظر إليها وهو يصعد وراء المقود، وبالرغم من الطريقة التي اعترضت فيها على استبداده صباح هذا اليوم، أمل أن تكون لاورا قد سرّت بوجوده إلى جانبها خلال محنتها.

أخيراً قالت: «شكراً، أنا بخير...».

واحسّت أنه ينتظر أن تقول شيئاً.

ـ.. شكراً لمجيئك معي.

التوت شفتا أوليڤر وكأنه لا يصدقها: «أجل..».

وشغّل المحرك: «سنعود إلى بينمادوك.. صح؟».

قبل أن يحرك السيارة، قالت لاورا: «أعني ما أقول.. أنا مسرورة لأنني لست وحدي».

وسرت قشعريرة في جسده إثر تلك الكلمات البسيطة المؤثرة، وتسارعت نبضاته وانقطعت أنفاسه... وكتم آهة احتجاج.. بحق الله..

ما الذي يحدث له؟ هذه لاورا. ألا يذكر؟ بغض النظر عن تلك المشاعر الطفولية التي أثارتها في نفسه منذ زمن، فإن الاحساس الذي شعر به الآن لا يصدّق.

دفعها تصرّفه وطريقة تحديقه إليها إلى التزام الحذر، لكن الحرارة التي ولدتها في داخله لم تهمد.. بل على العكس، ارتجفت يداه على المقود نتيجة الأحاسيس الجيّاشة التي اعتملت في قلبه.

سألته: «ألا تصدقني؟».

فشعر بالارتياح لأنها على الأقل لم تفسر تصرفه كما فسره هو.. ثم تابعت قائلة: «لقد بدا.. هادئاً جداً.. أليس كذلك؟».

ـ أجل.

أبعد أوليڤر نظره عنها، وزاد سرعة سيارته، ولحسن الحظ، أن عمله هذا آلي ولا يحتاج إلى الكثير من التركيز، لأن أفكاره كانت مشتتة في تلك اللحظات. أمّا هي، فبدا أنها لم تلحظ ما يشعر به، فقالت: «أتساءل.. لماذا لا نتناول الغداء ونحن في الطريق إلى المنزل».

ولم تجفل حين تجاوز عدداً من السيارات بينما كانت إشارة المرور تضيء الأحمر.

ـ الغداء؟

وعلق لسانه في سقف حلقه.

ـ ألا تتوقع خالتك عودتك؟

نظرت إليه بطرف عينيها: «ربما.. هل هذه طريقتك لرفض تناول الغداء معي؟».

ـ هذا غير صحيح.

وأخذ نفساً مهدئاً: «حسن جداً.. لِمَ لا؟ أين تريدين الذهاب؟».

ردّت بسرعة: «ظننت أنك تعرف مكاناً.. لكن، ربما هذه ليست فكرة جيدة.. فأمك ستتساءل أين نحن».

قال قبل أن يغير رأيه: «انسي أمرها.. لا بد أن هناك فندقاً عند أطراف

البلدة».

ـ إذا كنت واثقاً.

أحسّ بالعداء يشتعل مجدداً في نبرتها، فافترض أنها على الأرجح ندمت على طلبها، لا سيّما أن التعاطف الذي تشاركاه بعد الدفن أخذ يتبدد بسرعة.

قال وقد أرغم نفسه على الاهتمام بما يحيط بهما: «بالتأكيد واثق.. انظري.. هذا «روزماور هاوس» ما رأيك؟».

هزت لاورا كتفيها، فشعر أنها تحاول استعادة حماستها... وقالت دونما اكتراث: «إذا أحببت».

ركن السيارة في الفناء الأمامي، ثم توجها نحو المطعم عبر الواجهات لكن المكان كان دافئاً وحميماً.. وسارعت ساقية شقراء على الفور لإرشادهما إلى طاولة في الزاوية، وسألتهما وهي ترمق أوليڤر بنظراتها: «هل أقدم لكما ما تشربانه؟».

ورفع أوليڤر حاجباً متسائلاً نحو رفيقته التي قالت: «آه.. مجرد عصير برتقال».

وأخرجت ذراعيها من معطفها لترميه على ظهر مقعدها.

ـ شكراً لك.

ـ عصير برتقال؟ ألن تفضلي شيئاً يبعث الحرارة داخلك؟

علا الاحمرار وجنتي لاورا وقالت باختصار: «حسن جداً.. أي شيء ساخن».

وأراد أن يتأوه بصوت مرتفع، لكنه قال مبتسماً للساقية: «عظيم.. وسآخذ أنا شراباً غازياً.. شكراً».

ـ هل تأتي إلى هنا كثيراً؟

خلع سترته: «إنها المرة الأولى.. وهل ظننت أنني أرتاد هذا المكان دائماً؟».

ـ ظننتك تعرف الساقية.

وكتم شتيمة بصوت منخفض: «ولماذا تظنين هذا؟».

ردت: «لست أدري... بدت لي مألوفة جداً».

شهق أوليڤر: «إنها ودودة... ليس أكثر».

لم يبد الاقتناع على لاورا، والتقطت قائمة الطعام التي تتوسط الطاولة: «هل سنختار من هذه؟».

وجد أوليڤر صعوبة في لجم غضبه: «ولماذا تسأليني؟».

ثم استدرك فهي لم تخطىء في سؤالها، فأجابها: «أجل.. أعتقد هذا.. هل أنت جائعة؟».

تصفحت لاورا اللائحة دون حماس: «ليس كثيراً، أعتقد أنني سأتناول سندويش «تونا» فقط».

ـ حسن جداً.

وأخذ القائمة منها ليتفحصها بدوره: «سآخذ سندويشاً كذلك».

وتنفس بسهولة أكبر: «ها قد حضر الشراب».

لاحظ أوليڤر أن الساقية ودود جداً، فقد أخذت تبتسم وهي تضع المياه الغازية أمامه، وتنظر إليه بعينيها الزرقاوين. وبعد أن سجلت ما طلباه من أطباق، سألت: «خبز أبيض أم أسمر؟ أعتقد أنكما معتادان على تشكيلة أوسع من الطعام، فحين كنت في فلوريدا في العام المنصرم، ذهلت لتنوع أنواع الخبز هناك».

قال أوليڤر: «نحن لسنا أميركيين».

ونظرت الفتاة إلى لاورا متسائلة: «لكنني ظننت..».

قالت لاورا: «لقد عشت في أميركا خلال السنوات الثماني الماضية، أمّا هو، فإنكليزي أصيل. أي جزء من فلوريدا زرتِ؟».

ـ أوه... أولاندو.. عالم ديزني.. هل زرتها؟

ـ أجل..

لكن أوليڤر لم يرغب في متابعة الحديث.. وابتسم للفتاة ساخراً:

ـ إنه عالم صغير.

لم تفهم الفتاة التلميح: «أوليس كذلك؟».

ثم لاحظت أن المدير يراقبها، فأضافت بسرعة: «سأعود بطلبكما».

ولم تسرع في الابتعاد على أي حال.. بل سارت الهوينا، وخصرها يميل بإثارة، نحو المطبخ.. وكشر أوليفر حين رفعت لاورا حاجبيها.. وقال: «حسن جداً.. أنت كنت محقة وأنا كنت مخطئاً.. لكن، ما ذنبي إن وجدتني النساء..؟».

وصمت، وقد أدرك إلى أين ستقوده كلماته، ولام نفسه بصمت على غبائه... وكأنما رأيها به ليس وضيعاً بما يكفي.

لكنه رأى عيني لاورا تلمعان وهما تحدقان إليه.. وأكملت له جملته: «لا تقاوم؟ لا سيد كيمب.. كيف يمكن أن تكون هذه غلطتك؟ فنحن السيدات يصرعنا سحرك الشمالي».

كشر أوليفر: «أنا آسف.. لقد اعتدت التصرف بغرور».

ـ أنت متواضع جداً.. على أي حال، أنا أعرفك جيداً جداً.. فلا يدهشني غرورك.

ووجد أوليفر نفسه يبتسم: «آخ.. أجل.. أعتقد أنك تعرفينني جيداً في هذا المجال».

أضافت بسرعة: «هذا لا يعني أنني أوافق على تصرفك.. لطالما كنت مغروراً».

ـ هل هذا صحيح؟

راقبها أوليفر بعينين متسامحتين.. وقد تلاشى ذاك التوتر الذي شعر به في السيارة.

وهذا أمر جنوني في الواقع، لو تذكرت ماضيهما جيداً.. صحيح أن كليهما كان صغيراً جداً في السن، وأكثر سذاجة، لكن ذكريات كهذه خطيرة الآن. والله يعلم، أنه انجذب إليها ذلك الصيف الذي بلغت فيه السادسة عشرة من عمرها... لكن ذاك ليس عذراً، ولم يكن كذلك.

وأحس بضيق في معدته.. إن مجرد التفكير بهذا الموضوع

يزعجه... كان عالقاً في قبضة أحاسيس جيّاشة ومشاعر لا تقاوم تحكمت في ردة فعله.

إن ما دفع ستيلا على أي حال لرفض علاقة ابنها بابنة زوجها لا يمت بصلة إلى مشاعرهما إنما بما قد يفعله غريف لو اكتشف ما يجري. أضف أنها لم تكن ترى الطريقة التي كانت لاورا تنظر فيها إليه.. الطريقة التي كانت عيناها تلتهمانه.. وما كان يعانيه في كتمان مشاعره كلما رأى لاورا.

وغضبت لاحقاً وسعت إلى تفريقهما وكانت ترى أن لاورا هي التي بدأت، وتستحق كل ما يجري لها.

أمّا أوليفر فأخذ بنصيحتها وبقي بعيداً عن طريق لاورا منذ ذلك الوقت، وعزّى نفسه بتصديقه أن لاورا كانت تريد هي أيضاً أن يبتعد عن المنزل.. لكنه يعتقد الآن أن هذا أسوأ شيء فعله في حياته. لقد تركها تعتقد أنها لا تعني له شيئاً.. وأنه لم يهتم بمشاعرها.. وزاد الطين بلة بسفره إلى أوروبا، مقنعاً نفسه أنها نسيت أمره أثناء غيابه.

ـ ماذا تظن أن أمك ستفعل؟

أيقظه صوت لاورا من المزاج السوداوي الذي أحاط به نفسه.. وأدرك أنهما لم ينبسا ببنت شفة منذ دقائق.. كان حاجباها السوداوان مرتفعين تساؤلاً، وأحس بعودة العواطف الخائنة التي أحس بها منذ قليل، وتطلعت عيناها الرماديتان إليه، متسعتين، دهشتين، تظللهما أهداب سوداء، على أطرافها أثر لون أحمر.. أمّا خداها الشاحبان فقد غزاهما لون وردي رقيق... وكان شعرها مسترسلاً حول كتفيها، جعداً، جميلاً. مع أن هذا آخر شيء كان يجب أن يفكر فيه في تلك اللحظة، إلا أن صورة لنفسه وهو يدفن وجهه في هذا الشعر، اجتاحته.

أوه.. يا إلهي! وحاول جاهداً أن يتذكر ما قالته... فهذا بكل تأكيد ليس الوقت المناسب ليتصور نفسه معها، يتمتع بجمالها البريء، يتنشق عطرها الفوّاح...

أخيراً قال: «تفعل؟».

قاوم كي يفسر ما تعنيه . . هل جعلها ماركوس تقتنع تظن أن الوصية قد لا تكون واضحة؟

ـ أتعنين بعد الجنازة؟

قطبت حاجبيها وعضت على شفتها.

ـ أجل، أعتقد أنها تنوي البقاء في پينمادوك؟

أخذ أوليڤر نفساً عميقاً . وقال: «أعتقد أنها تودّ ذلك».

وهزت لاورا رأسها، وقالت: «وستكون الخالة نيل مسرورة».

تردد أوليڤر . . لكن اتضح له أنها لا تعرف شيئاً عن الوصية . . وإذا كانت تعتقد أن أمه ستسمح لخالتها بالبقاء في پينمادوك لو ورثت المكان، فهي مخطئة جداً.

قال وهو يقاوم رغبته بلمس اليد الممدودة إلى جانب الكوب.

ـ إنه بيتك كذلك.

قسا تعبير لاورا لحظة: «لا . . لا . . ليس كذلك . . لم يعد بيتي منذ أكثر من عشر سنوات».

ردّ أوليڤر: «مجرد ابتعادك عنه لا يعني أنه ليس بيتك . . وأنت تعرفين جيداً أن الناس في القرية لا يزالون يطلقون عليه منزل تينباي».

ـ لكننا نعرف أنه لم يعد منزل تينباي. أليس كذلك . . حين تزوجت أمك أبي أصبح منزل ويليامز.

قال أوليڤر قبل أن يتمكن من ردع نفسه: «لست واثقاً جداً من هذا».

لكن، لحسن الحظ، جاءت الساقية في تلك اللحظة بالطعام.

ـ سندويش تونا وآخر لحم مقلي . . مع الخس والطماطم.

ووضعت الصينية بيد، وأخذت كوب أوليڤر الفارغ بالأخرى: «هل أحضر لك كوب مياه غازية آخر؟».

ـ ولمَ لا؟

قالت لاورا قبل أن تبتعد الساقية: «وأنا أريد كأساً آخر من العصير».

وللحظة، تشاركت مع أوليڤر نظرة مزاح: «أوه . . حاضر».

وأخذت الساقية كأسها، ثم أدركت أنها تخوض معركة خاسرة، فأضافت: «سأحضر لكما الشراب، استمتعا بالطعام!».

في الواقع لم يكن أي منهما جائعاً . . وراقب أوليڤر لاورا تقضم سندويشها، وتمنى لو يقول شيئاً يبهج مزاجها . . . كان واضحاً أنها تعتقد أن والدها ترك «پينمادوك هال» لأمه . .

قال: «أخبريني عن نيويورك . . ما نوع عملك في دار نشرك تلك؟».

ـ ليست الدار لي . . في الواقع، هي ملك عم كونور، ولقد أعطاني وظيفة حين انتقلت إلى نيويورك بعد طلاقي.

كبت أوليڤر وخزة غيرة: «فهمت . . لكن أليس هذا مربكاً لك! فأنت كنة أخيه السابقة . . وكل هذا؟

اعترفت: «هذا ما ظننته في البداية، لكن جيف، والد كونور، كان رائعاً».

وتردّدت، ثم قالت: «أظنه كان يأمل أن نغير رأينا».

ـ بشأن الطلاق؟

عرف أوليڤر أن هذا ليس من شأنه لكنه لم يستطع أن يلجم فضوله بشأن الرجل الذي اختارت أن تتزوجه.

وبدا أن لاورا استدركت مع من كانت تتكلم . . وظهر تعبير حذر في عينيها.

ـ أنا واثقة أنك لست مهتماً بي . . فعملي ليس مثيراً مقارنة مع عملك.

قال: «لا أرى ما علاقة عملي بعملك . . وأنا مهتم بما قمت به في السنوات الثماني الماضية . . ولقد تساءلت عما إذا كنت ستراسلينني . . . فقد أرسلت لأمي عناوين عدة من عناويني . . لكن من الواضح أنك لم ترغبي في معرفة شيء عني».

نظرت لاورا إليه نظرة غريبة، وقالت بلهجة دهشة: «أنت تمزح».

ـ لا . . لماذا؟

ـ أوه.. هيا الآن أوليفر.. من غير المعقول أن تعطيني أمك عنوانك.

واكفهر وجهها فجأة: «أضف إلى هذا أنه لم يكن لدي شيء أقوله لك. لقد دمرت آخر بريق أمل لي حين هربت مني».

ـ أنا لم أهرب.

وتصاعد وهج الحرارة إلى خديه، وتمنى لو أنهما لا يجلسان في مكان عام، حيث الذنب الذي يشعر به، كان يبدو ظاهراً.

ـ أنا آسف.. لكنني ظننت يومها أن رحيلي سيسهّل الأمور عليك، فاستمرارنا معاً كان صعباً.

ـ صعباً عليك.

ـ صعباً على كلينا.. كنت في التاسعة عشرة من عمري لاورا.. ماذا كان يفترض بي أن أفعل؟

نظرت إليه ساخرة: «ماذا.. فعلاً..؟ كان من المفترض أن تذهب إلى أوكسفورد في شهر تشرين الأول.. لكنني مخطئة. فقد أردت الابتعاد.. ولا بد أن التجوال في أوروبا كان مثيراً. فقد مكنك من الهرب مني.. وممّا أعنيه لك... في أسرع وقت ممكن».

ـ لم يكن الأمر هكذا.

لكنها رفعت يدها مانعةً إياه عن الكلام وقالت: «لم يعد هذا يهم.. ولم أعد أهتم بنواياك تجاهي... وكما حصل، لقد أسديت خدمة لكلينا... فأنت حصلت على الصور التي جعلتك في النهاية شهيراً.. وأنا تعلمت كيف أقف على قدميّ».

نظر أوليفر إليها بنفاد صبر وقال بفظاظة: «لدي إحساس أن هذه ليست القصة كلها، لأجل الله لاورا. كنت آمل أن نتحدث عن الأمر».

شربت العصير دفعة واحدة وأعادت الكوب إلى مكانه: «لقد تأخرت كثيراً.. إذا أنهيت طعامك.. أعتقد أنني أريد الذهاب».

***

٧ ـ ليل الأسرار

جثمت لاورا في مقعدها قرب مدفأة المكتبة.. كان الوقت يناهز، منتصف الليل تقريباً.. لكنها لم ترغب في الخلود إلى النوم. فقد تكون هذه آخر ليلة تقضيها في بينمادوك، وتريد أن تستفيد منها.

كل شيء انتهى الآن، ولكن لاورا بقيت عاجزة عن التصديق. كانت الجنازة مهيبة. فالكاهن الذي أجرى المراسم يعرف غريف جيداً، وذكر هذا في عظته.. أضف أن ما قاله أوليفر فيما بعد أثر كثيراً في مواساة لاورا..

لم تحضر ستيلا الجنازة.

ولو أن لاورا كانت واثقة أن زوجة أبيها قد تغير رأيها في اللحظة الأخيرة وتنضم إلى الموكب الجنائزي قبل توجهه إلى الكنيسة.. لكنها لم تفعل، بل تابعت الإصرار على أنها تعيش تحت رحمة أعصابها، وأنها ببساطة لا تستطيع مواجهة دفن زوجها..

في الواقع، فكرت لاورا أن والدها سيتفهم، لأنه كان كالعجينة بين يدي ستيلا.. وبالرغم من أنها حاولت وضع كراهيتها جانباً، إلا أن ستيلا لم تجعل الأمور سهلة.. وما أقنع لاورا بالبقاء في نيويورك بعد طلاقها، هو غيرة ستيلا من علاقتها بوالدها، أكثر من أي شيء آخر.

لم تُتلَ الوصية في ذلك اليوم لأن ستيلا لم تغادر غرفتها طيلة النهار، مما دفع لاورا إلى إرجاء رحيلها حتى اليوم التالي.. فقد أصرّ ماركوس لبنتنغ على أن تكون لاورا موجودة حين تفتح وصية والدها.. وبالرغم من

اعتقادها أن وجودها ليس سوى نوع من الشكليات، أحست أنها مدينة لأبيها بأنْ تسمع آخر أمنياته.

آخر أمنياته..

واحترقت عيناها.. لقد ظنّت أنها بكت إلى أن جف دمعها.. لكن ما عليها سوى أن تتذكر أنها لن ترى أباها بعد الآن، حتى تبلل الدموع خديها..

أجفلت لاورا عندما انفتح الباب خلفها، نظرت عبر الغرفة التي تضيئها النار وهي تفرك عينيها.. لقد ظنت أن الجميع نائم.. فخالتها أخلدت إلى فراشها باكراً، مرهقة جداً بعد تقبّل التعازي من الأصدقاء والمعارف، الذين جاءوا إلى المنزل بعد الدفن..

لكنها تفاجأت بأن من فتح الباب كان ستيلا التي دخلت بصمت إلى الغرفة، وأطراف روبها ملفوفة جيداً حول جسمها النحيل.. وكانت لاورا تجلس مكوّرة قرب المدفأة، محجوبة عن الأنظار.. وبكل تأكيد لم تلاحظ زوجة أبيها وجودها وهي تتقدم.

ولم تعرف لاورا ماذا تفعل.. فهي لم ترغب في إخافة المرأة، لكن، في الوقت ذاته، لم ترد أن تبقى غير مرئية، وأن تتهم فيما بعد بالتجسس.

الله وحده يعرف بما كانت ستيلا تفكر.. ربما نزلت إلى هنا لتجلس وتشرب شيئاً يهدىء أعصابها التي حالت بينها وبين حضور جنازة زوجها.. إذا كان الأمر هكذا.. هل يجب أن تكلمها لاورا؟ وهل من الممكن، ولو لمرة واحدة أن ترحب ستيلا بصحبتها؟

لكن، قبل أن تستطيع أن تقرر ماذا ستفعل، وصلت ستيلا إلى المنضدة والتقطت الهاتف. وضغطت بأظافرها الطويلة المطلية بلون قرمزي رقماً، بدا أنها تعرفه جيداً.. ثم وضعت السماعة على أذنها، وراحت تنقر بأصابعها على الطاولة كمن عيل صبره.

وانكمشت لاورا في مقعدها أكثر.. يا الله! هذا أمر فظيع.. وكتمت آهة.. إذا لم تفعل شيئاً الآن، فستضطر للاستماع إلى أسرار زوجة أبيها،

وهذا آخر ما تريده..

لقد تأخر الوقت.. وبدا لها من الغريب أن تتصل ستيلا بأحد في مثل هذه الساعة، لكنها سمعت ستيلا تقول بصوت أجش: «جاز؟ جاز.. هل هذا أنت.. أوه الحمد لله! كنت أخشى أن يرد عليّ شخص آخر».

ساد سكون قصير، بينما كان الشخص الآخر يقول شيئاً، ثم ردت ستيلا بلهفة: «أعرف.. لم أتمكن من فعل شيء.. كان البيت يعجّ بالناس طوال اليوم. أردت أن أتصل بك، لكنني خشيت أن يسترق أحدهم السمع. لذا أتصل الآن من المكتبة. بهذه الطريقة، أتأكد أن ما من أحد على الخط».

ـ أجل.. ومن غيرها؟ لاورا؟ لا.. لا أظن هذا.. إنها مشغولة بنفسها أكثر من أن تسترق السمع على مكالماتي.

استطاعت لاورا كتم الشهقة الساخطة في حلقها.. مع من تتكلم ستيلا بحق الله؟ جاز؟ وبأي حق يتهمانها بأنها قد تفعل شيئاً مخزياً كهذا؟ حتى ولو...

عادت ستيلا تتكلم: «لا.. أخشى ألاّ يكون هذا.. لم أستطع أن أفعل شيئاً.. لم أستطع معالجة الموضوع طوال اليوم».

قطبت لاورا جبينها...

طوال ماذا؟ عم تتكلم؟ وماذا تريد أن تعرف؟ وما الذي يريد أن يعرفه جاز؟

أصرت ستيلا: «ليس لدي فكرة.. أعني أنني لم أكن أنظر من فوق كتفه حين كان يكتب..».

أصغت قليلاً، ثم قالت بشراسة رداً على ما سمعته: «حسن جداً.. أجل. وماذا يمكن أن أفعل غير هذا؟».

الوصية! لا بد أنها تعني الوصية!

مسحت لاورا كفيها على ركبتي بنطلونها الصوفي.. محاولة إخفاء اشمئزازها ممّا تسمعه. على أي حال، ستيلا لا تعرف أنها تسمعها.

حين انفتح الباب مجدداً دون سابق إنذار، لم تعرف من ذهل أكثر.. هي أم ستيلا.. لكن حين أضاء أوليڤر النور ودخل الغرفة، لم يكن هناك من شك أن الذعر بدا جلياً على وجه أمّه.

قطعت الاتصال قائلة: «يجب أن أذهب».

ثم أعادت السماعة مكانها.. وجمعت شجاعتها واستدارت لتواجه ابنها بتماسك تحسد عليه.

ظنت لاورا أن أوليڤر رآها فعلاً.. فضوء الثريا المعلقة في السقف أنار زوايا الغرفة المظلمة كلها.. وبدا موقعها مكشوفاً.. لكنه لم يرها لأنه ركز اهتمامه على أمّه التي استعادت قوتها ونزلت إلى الطابق الأسفل لتقوم باتصال هاتفي، بينما تستطيع ذلك من غرفة نومها.

سأل بصوت خافت: «ماذا يجري؟».

ودست ستيلا يديها في كمي الروب وكأنها تريد أن تخفي ارتجافهما عنه.

قالت: «لا أعرف ما تقصد.. كنت أتصل.. أليس الأمر واضحاً.. فهل هناك خطأ في هذا؟».

رقّت شفتاه غضباً: «أخبريني أنت».

ـ أخبرك؟.. أخبرك ماذا؟

كانت ستيلا تراوغ لكسب الوقت، وعرفت لاورا هذا.

ـ وماذا أقول لك؟ ظننتك نائماً.

ـ ألا تعنين أنك أملت أن أكون نائماً؟

لم يُخدع أوليڤر لحظة.. لكن ستيلا استغنمت كل ثانية لتستعيد رباطة جأشها.

وسألته: «وهل تتجسس علي؟ منذ متى وأنت تتلصص هناك في الردهة؟».

نظر أوليڤر إليها بثبات: «ليس منذ وقت طويل.. بمن تتصلين في مثل هذا الوقت من الليل؟».

ـ هذا شأني أنا.

ـ حقاً؟

ودس يديه في جيبي بنطلونه: «إذن.. لماذا لم تجري الاتصال من فوق؟».

تنهدت ستيلا: «صوت الهاتف في غرفتي ليس واضحاً. إذا كان هذا المنزل منزلي حتى تعلن محتويات الوصية، وإذا اخترت أن أتصل من هنا، كي لا أزعج أحداً، فلا شأن لك بهذا».

إذن، كانت تتكلم عن الوصية. كشرت لاورا.. لكن، ماذا تعني حتى تعلن محتويات الوصية؟ فهل تشك أن والد لاورا ترك پينمادوك لشخص آخر؟

تابع أوليڤر إصراره: «ما زلت أرغب بمعرفة مع من كنت تتكلمين.. بالنسبة إلى شخص كان عاجزاً منذ ساعات قليلة عن مغادرة فراشه، لقد استعدت عافيتك بسرعة مؤكدة».

كتمت ستيلا أنفاسها: «هذا غير صحيح، من المؤسف أنك لا تثق بأمك».

ـ أجل.. أليس هذا مؤسفاً!

جالت عينا أوليڤر في أرجاء الغرفة، وتمنّت لاورا لو أن الأرض تنشق وتبتلعها لتحتجب عن أنظاره. وانتظرت أن يلمحها...

لكن هذا لم يحدث.. وأمّا ستيلا فحاولت التهرب من أسئلة ابنها. وتماسكت بقوة ثم دنت منه: «هل لي أن أذهب الآن؟».

هز أوليڤر كتفيه دون أن يخرج يديه من جيبيه.. كان قد خلع سترته الرمادية القاتمة فلاحت بشرته السمراء من خلال قماش قميصه الأبيض الرقيق. خشيت لاورا ألاّ يدع أمه تذهب قبل أن ترد على أسئلته، لكنه تنحّى جانباً وكأنه أدرك أن لا جدوى من المتابعة: «ولم لا.. يكفي أن أضغط على زر الإعادة في جهاز الهاتف لأكتشف مع من كنت تتكلمين».

فغرت ستيلا فاها: «لن تفعل هذا!».

ـ ولماذا. . ؟ هل هو سر؟

وتلوى وجه ستيلا ذعراً: «أنت متوحش. . أوليڤر. ولست أدري لماذا أتحملك».

ـ أنت لا تتحملينني عادة.

وهز رأسه ليكمل بحدة: «لا. . لن أفعل هذا».

فانفرجت أساريرها. . . وتابع أوليڤر كلامه: «سأعرف الأمر بطريقة أخرى».

صاحت ستيلا بقلق: «أي طريقة؟».

مرة أخرى اجتاح لاورا الخوف وخشيت أن يكتشف أوليڤر وجودها.

لكن كل ما قاله كان: «سيتوضح الامر من تلقاء نفسه، هذا ما يحصل عادة».

والتوت شفتاه: «أنت لست بارعة في كتم الأسرار. . أليس كذلك!».

وفكرت لاورا بمرارة. . بل أفضل مما تظن. لكن ستيلا تكلمت ثانية: «حسن جداً. . حسن جداً. . كنت أكلم ديليز. . أنت تعرف ديليز. . ديليز جايمس!».

قال أوليڤر: «أعرف من هي ديليز».

وتمنت لاورا لو أنها في أي مكان آخر غير هنا. لكن. جايمس. . هل يمكن أن يكون هذا هو اسم جاز الذي حدثته ستيلا؟

قالت ستيلا: «ها قد عرفت».

ثم تابعت قائلة: «والآن، هلاّ عذرتني. . سأعود إلى سريري وأقترح عليك أن تقوم بالمثل».

وهز أوليڤر رأسه. . لكنه لم يردّ عليها. .

بعدما أغلق الباب خلف زوجة أبيها، قال أوليڤر بصوت رقيق: «حسن جداً. . لقد ذهبت. . فهلاّ أخبرتني ماذا تفعلين هنا؟».

شهقت لاورا وقد انخطفت أنفاسها: «أنت. . أنت تعرف أنني

هنا؟».

اعترف بصدق: «ليس منذ البداية».

وأخرج يديه من جيبيه ومررهما عبر شعره.

ـ ما كنت أعتقد أن هذه هي عادتك.

ـ عادتي؟

ـ استراق السمع.

وأنزلت لاورا قدميها إلى الأرض ووقفت.

ـ وهل تتصور أنني رتبت. . هذا؟

وتلوّى جبينه: «ألم تفعلي؟».

سخطت لاورا: «لا. . كنت جالسة هنا، بهدوء، أفكر بشؤوني، حين دخلت أمك».

سألها ساخراً: «في الظلام؟».

نظرت إليه بسخط: «أجل. . في الظلام. . وكنت أفكر. . ولم أكن أعرف أن أحداً غيري ما زال مستيقظاً».

ـ فيم كنت تفكرين؟

ـ لا أعتقد أنه أمر يتعلق بك. . . كنت أتذكر الجنازة، إذا أردت أن تعرف.

ثم تابعت بأقل حدة: «أردت أن أشكرك على دعمك لي اليوم، وأن أبلغك مدى امتناني لوجودك».

رد بلهجة جافة: «وأين كان يمكن أن أكون؟ لقد كان لي بمثابة الأب. . وتعرفين هذا».

ـ كان زوج أمك. . لكنها لم تكن موجودة.

ثم، تابعت كلامها وهي تحاول أن تبتعد عنه: «أنا ذاهبة لأنام الآن».

ـ انتظري.

وسد أوليڤر طريقها دون جهد، ثم، سألها بعينين ملؤها الاستفهام: «هل تعرفين مع من كانت أمي تتكلم؟».

نظرت لاورا إليه: «لقد قالت لك».

وانتظرت أن يعترف بهذا، لكنه لم يفعل، فأضافت: «شخص يدعى ديليز.. ديليز جايمس.. أليس كذلك؟».

عبس أوليفر: «أعرف ما قالت.. وأتساءل لماذا شعرت بحاجة إلى أن تتصل «بصديقة» في مثل هذا الوقت من الليل؟».

فغرت لاورا فاها: «أولا تصدقها؟».

ـ لنقل أنني أتقبّل اقتراحات أخرى.

هزت رأسها: «حسن جداً.. ليس مني».

وحاولت تخطيه، لكنه مدّ يده ليوقفها وأجفلت قائلة: «لا تفعل».

ـ لا أفعل ماذا؟

ـ لا تلمسني.. لا أستطيع مساعدتك.

وكرهت الذعر في صوتها.

ـ هل أنت خائفة مني لاورا؟

أفلتت منها شهقة غضب: «خائفة منك؟ نحن لا نتكلم عني أنا. ألا تذكر؟».

ـ أوه.. أجل. أذكر.. أذكر كل شيء.. وأنا مثلك تماماً.. أتمنى لو أنني لا أذكر شيئاً.

قالت: «في الواقع، أعتقد أن مجيئي إلى هنا، ومقابلتك مجدداً.. أفاداني قليلاً.. لقد ساعدتني على وضع بعض الأمور في منظارها الصحيح. أتفهم قصدي؟».

ـ أفهم قصدك. لكن ربما، لا أصدقه.

والتوى فمه: «أتفهمين قصدي».

سألته، محاولة المحافظة على رباطة جأشها بالرغم من استفزازه:

ـ لماذا لست في فراشك.. هل كنت في الخارج؟

ـ في الخارج؟ أوه.. وإلى أين يمكن أن أذهب؟

أجابته وهي تحاول الدفاع عن نفسها: «ربما ذهبت إلى القرية..

فالمقهى ما زال موجوداً، ولطالما ارتدت ذلك المكان.. وإذا كنت تشعر بالضجر..».

تقدم منها.. وكان صعباً عليها أن تبقى واقفة في مكانها.

ـ الضجر؟ من قال إنني أشعر بالضجر.

ـ لا بد أنك ضجر.. حتى تضطر إلى تعذيبي.. ما الأمر؟ هل أنت مشتاق إلي.. ما اسمها؟ ناتالي؟

ـ لو لم أكن أعرفك أفضل من هذا، لقلت إن في كلامك ذرة غيرة.

قالت لاورا بصراحة: «لكنك تعرف أفضل من هذا.. صحيح؟ يا إلهي! أتساءل أحياناً ماذا كنت أجد فيك».

ولم يكن هذا ما كانت تقصد قوله، لكن عجرفته لامست وتراً حساساً فيها.. وأجفلها اقترابه منها.

وسأل: «هل تريدين أن أذكرك؟».

وتنشقت رائحة عطره الخفيفة: «لا!».

ـ هل أنت واثقة؟

ـ أنا واثقة.

ثم تابعت قائلة:

ـ أعتقد أن من الأفضل أن تتركني أذهب.

ـ وإذا لم أفعل؟

ـ يمكن أن أصيح طلباً للنجدة.. وأعتقد أن أمك ستكون متشوقة جداً لتأتي وتنقذني.

التوت شفتاه: «أجل.. أجل.. أعتقد أنها ستفعل».

ـ ولا تريد أن تتشاجر معها.. أليس كذلك؟ خاصة الآن.

ولم تعرف ما الذي دفعها لاستفزازه.

سأل: «خاصة الآن؟».

وقوت نفسها لتواجه عينيه الحائرتين.

ردت بلؤم شديد: «الآن بعد أن تصبح ثرياً مرة أخرى».

ورأت الصدمة على وجهه.

كان هذا قولاً لا يغتفر، وغير مبرر أبداً، فهي تعرف أن أوليفر لم يستغلّ يوماً زواج أمه، فصحيح أنه حظي بالمأكل والملبس والمسكن اللائق، لكن النجاح الذي حققه كان بمجهوده وماله الخاص.

تمتمت وهو يحدّق إليها: «أنا.. لم أقصد هذا بالطريقة التي قلتها».

سألها بصوت أجش: «وبأي طريقة عنيتها؟ لقد اتهمتني بأنني هنا لأستفيد من.. ماذا يمكن أن تسميه؟ حظ أمي الجيد؟ ومن المفترض أن أصدق أنك لم تعني هذا؟».

ـ لا..

التوت شفتاه: «مع أن هذا ما بدا لي. من الجيد أن أعرف أن هذا رأيك بي.. وبما أن هذا ما تفكرين فيه».

اقترب منها أكثر: «.. فمن الأفضل أن أستفيد من هذا الواقع».

قالت متوسلة: «إبق بعيداً أرجوك».

يبدو أنه تأثر بتوسلها، فبدا أكثر ليونة وشعرت بغضبه يتلاشى.

تمتم:

ـ فليكن الله في عوني.

وكان العذاب الفج في صوته هو الذي أعاد الشجاعة إلى لاورا.

قالت بتوبيخ ساخر:

ـ لن يساعدك الله الآن.. ومن الأفضل أن تتركني أذهب، أوليفر، قبل أن نفعل ما قد نندم عليه.

سأل بصوت أجشّ:

ـ ومن قال إنني سأندم؟ أنت تتهمينني بأمر فظيع.

قالت بصوت مختنق:

ـ قد تكون المظاهر خدّاعة... أو قل.. إنني تسرعت في الكلام..

ـ ليس ذلك من عاداتك. فلمَ قلتِ ذلك إذاً؟.

عرفت ويا للعار! أن هذا صحيح.. وأكملت: «أملت أن تكون هذه طريقة جيدة لإبعادك عنّي، فقد بدا لي أن لا شيء سيتمكن من ذلك..».

ثم خرجت من الغرفة بشيء من الوقار.. دون أن تلتفت إليه ثانية..

تلك الليلة أيضاً، لم يغمض لأوليفر جفن. وفكّر أن ذلك عائد طبعاً إلى الظروف السيئة التي مرّ بها.

لم يكن يتوقع أن يصطدم مع أمه أو مع لاورا في الليلة السابقة. كان يهمّ بالقيام بنزهة ليصفو ذهنه.. وفيما كان يقطع ردهة المنزل سمع صوت أمه.. ماذا تفعل متسللة في المنزل، تقوم باتصالات هاتفية بينما تستطيع بسهولة الاتصال من غرفتها؟ هل كانت فعلاً تتصل بصديقة؟ بطريقة ما، هذا التفسير لم يبدُ له صحيحاً.

لكن، هل صدقت لاورا؟ هذا ما يريد أن يعرفه.

نظر عابساً إلى صحن البيض المخفوق الذي وضعته خالة لاورا أمامه.. لماذا يعلق هذا القدر من الأهمية على رأيها به؟ ولكن تباً، لقد اتهمته بأنه كان يستفيد من أبيها! إلاّ أنه سرعان ما هدأ عندما تخيلها أمامه تتظاهر بأنها لم تعن ما قالته. المشكلة أن معرفته بالوصية التي وجدتها ستيلا كانت تؤثر في أعصابه.. ولقد جنّ جنونه أن تفكر لاورا بشيء كهذا دون دليل. وقد أفقده ذلك السيطرة على نفسه ورغب في معاقبتها وهذا ما كان ينويه. لكن حين تواجها، لم يتم الأمر كما خطّط له.

في البداية، كان غاضباً.. لكن هذا لم يدم طويلاً، وعاد ليسيطر على نفسه.. إلاّ أنه أفلت من يده مجدداً.. وأصيبت أفكاره المسبقة كلها بالهزيمة.. لكن ليس كالهزيمة التي فرضها على نفسه.

زفر نفساً متقطعاً.. بدت له فكرة تكبيل يديها جيدة في تلك اللحظة... فقد يجعلها هذا عاجزة، ضعيفة، وخاضعة له، لكن رقّتها وتوسلها حركا فيه ردّة فعل مختلفة تماماً.

كان يتوقع بالتأكيد أن تقاومه.. وأراد أن تقاومه، ولو ليثبت أنه يسيطر عليها... ولكن ما مرّت لحظات حتى أحسّ بالضياع.

لقد نسي كم كانت جميلة، وناعمة، وخفق دمه كالرعد في شرايينه. . وشعر أنه عاجز عن السيطرة على نفسه. .

أحس بضيق مزعج في صدره للذكرى.

ـ ألن تأكل البيض ؟

دفع عنه الطبق وقال:

ـ لست جائعاً جداً.

وهذا صحيح.

ـ شكراً لك، على أي حال.

بدت خيبة الأمل على وجهها: «أنت تحتاج إلى الطعام. لقد لاحظت أنك فقدت شهيتك خلال وجودك هنا، ولا أصدق أن موت غريف هو المسؤول. . ولا أعتقد أن رجلاً مثلك قد يكون منزعجاً من وزنه».

نظر أوليڤر إليها ساخراً: «وهل هذا إطراء؟».

أكدت خالة لاورا بحزم: «هذه ليست سوى الحقيقة. . والآن، هل تعرف ما إذا كانت أمك تفكر بمغادرة السرير اليوم؟ لقد قال ماركوس ڤينتنغ إنه آتٍ في الساعة العاشرة، والساعة تكاد تدق العاشرة».

دهش أوليڤر: «حقاً؟».

لقد أمضى وقتاً أطول مما يظن بالعبث بطعامه. . وأكمل: «حسبما أعرف، ستيلا تنوي مقابلة ماركوس هذا الصباح. . هل استيقظت لاورا؟».

ردّت الخالة وقد بدأت بتنظيف الطاولة: «لقد استيقظت منذ ساعات. . وتناولت الفطور في المطبخ معي عند الساعة السابعة».

سأل بحدّة: «إذن. . أين هي؟».

خشي أن تكون قد فكرت بعد دفن أبيها، أن لا سبب يدعوها للبقاء.

ولم تعجبها الطريقة التي كلّمها بها: «وكيف لي أن أعرف؟ أعتقد أنها ذهبت إلى الكنيسة. . قالت شيئاً عن زيارة أبيها قبل أن ترحل.

تنفس أوليڤر الصعداء: «أوه. . حسن جداً. . إذن ستعود عما قريب؟».

ـ محتمل.

واتجهت المرأة العجوز نحو الباب: «أوه. . بالمناسبة. . ستبدأ «بيث» العمل في غرف النوم مباشرة، لقد طلبت منها ألاّ تأتي بالأمس. . بسبب الجنازة».

هز أوليڤر رأسه. . كانت بيث ليولاين تأتي عدة مرات في الأسبوع، من القرية. . ونتيجة لهذا، باتت بيث فرداً من المنزل قبل أن تتزوج أمه والد لاورا. . ومع أن ستيلا تذمرت من ثرثرتها، إلا أنها لم تبدِ استعداداً للمشاركة في العمل المنزلي.

عادت الخالة نيل إلى المطبخ، وعندما غادرت غرفة الطعام، قرر أوليڤر أن يتفحص النار في موقد المكتبة. .

في المكتبة حاول جاهداً إخراج لاورا من تفكيره، إلاّ أنه عجز عن ذلك، فجلس خلف الطاولة ينظر إلى الخارج نحو الأشجار الجرداء التي بدأت تظهر مجدداً في الحديقة مع ذوبان الثلج. . وغمرته ذكريات الماضي. . ووجد نفسه يتساءل، متى كانت المرة الأولى التي لاحظ فيها أن لاورا بدأت تكبر. .

ربما كان يناهز السابعة عشرة، حين لاحظ أنها لم تعد صغيرة. . ولم يكن منجذباً إليها في تلك الأيام، بل كانت مصدر إزعاج له أكثر من أي شيء آخر، كانت تريد دائماً أن تعرف أين يذهب، ومع من، كما كانت تفسد عليه علاقاته وتعقّد له حياته.

وبدا له أنه أمضى وقته محاولاً التخلص منها، مع أنه قام بما في وسعه لئلا يجرحها تلك الأيام. . فلطالما أدرك هشاشة ثقتها بنفسها. .

وافترض أنه كان محظوظاً ذلك الصيف الذي بلغ فيه سنّ الخامسة عشرة. . كان قد تدبّر عملاً صيفياً في بلدة سلودونيا، في مقهى قرب محطة سكة الحديد الجبلية وكان يمضي وقت فراغه يختلط مع المتسلقين،

الآتين من كل أنحاء العالم. وكانت هذه المرة الأولى التي يفكر فيها بالترحال وحقيبته على ظهره..

كان قد بدأ هواية التصوير كذلك. في البداية، كان يصوّر أصدقاءه.. ثم التقط المناظر الخلابة في الحديقة العامة.. وأدرك لاحقاً أنّ هذا هو العمل الذي يريد أن يمتهنه.

خلال هذه السنة الأخيرة له في روزماور، تغيرت علاقته بابنة زوج أبيه، التي كان ينظر إليها كشقيقة. كانت لاورا وهي في السادسة عشرة، تتمتع بفتنة ونضارة امرأة شابة، وكانت تمشي مِشية مثيرة جداً إذ كانت أطول قامة من نظيراتها... لكن أوليڤر كان مسحوراً بأطرافها النحيلة وساقيها الطويلتين.

كان شعرها عبارة عن خصلات حمراء معربدة تصل إلى خصرها تقريباً. وكانت تقول إنها تكرهه لأن الجميع يطلق عليها اسم الصهباء... لكن، حتى في تلك الأيام كان أوليڤر يعرف أنه ليس أحمر، بل أشقر بلون التوت البري.

وتغيرت تصرفاته تجاهها، فبات يجلس معها في فرصة الغداء، ويسير معها حتى الباص. وبما أن طلاب السنة الخامسة غالباً ما يختلطون مع طلاب السنة السادسة، لم يعترض أحد على وجودهما معاً.

ليس في المدرسة على الأقل.

لكن الأمر في البيت كان مختلفاً. فقد عارضت أمه بشدة الاهتمام الذي يوليه للاورا.. ولقد حذرته أن والدها لن يقبل بهذا..

كان الصيف الذي سبق سفر أوليڤر، حاراً على غير عادته وأمضى أوليڤر معظم وقته مع لاورا، عند ضفاف نهر «مادوك» الذي يمر في القرية ويشكل بحيرة قرب جسر پينمادوك.. وكانت البحيرة نقطة التقاء لكل شبان القرية..

تحدثا كثيراً ذلك الصيف.. وتشاركا أعمق أفكارهما وأعز أمنياتهما.. ولم تكن علاقته بلاورا شبيهة بتلك التي أقامها مع الفتيات

الأخريات... لم يكن منجذباً إليها.. بالتأكيد، لكن شخصيتها هي التي حيّرته.. وأراد أن يكون معها.. دونما التفكير بالحب...

أو أقله هذا ما أقنع نفسه به.

وعبس مجدداً.. لقد خدعت نفسي بسهولة... وتظاهر بأن إعجابه بها فنّي ليس إلاّ... فبشرتها العاجية والنمش الخفيف على وجهها، وامتلاء جسمها المستقيم المغري يضفي جمالاً طبيعياً على الصور التي كان يلتقطها لها، ولقد خدع نفسه بأن اهتمامه كان موضوعياً، أو على الأقل بريئاً من أي نوايا مثيرة.

أمّا كيف فسرت لاورا اهتماماته، فهذه قصة أخرى، أو ربما القصة ذاتها، إنّما لم يستطع تحديد اتجاه الأمور. خلال تلك الأيام الصيفية الطويلة، أصبحت توأم روحه.. وكان يجب أن يقول لنفسه إنه لم يكن يعي كم كان تعلقها به خطيراً..

إلى أن دخلت غرفته دون دعوة منه.

تناهى إلى سمعه صوت محرك سيارة، قطع عليه أفكاره... وعرف متجهماً أنه ماركوس، وأحس بالراحة للمقاطعة المفاجئة.. فالله يعلم أنه لا يريد أن يفكر بما حدث بينه وبين لاورا في تلك اللحظة.. وما كان على وشك أن يحدث الليلة السابقة لا يزال حياً في ذاكرته.

وانفتح الباب بعد بضع لحظات وظهرت الخالة نيل، لتقول:

ـ المحامي هنا.

وتنحت جانباً لتترك ماركوس ڤينتغ يدخل الغرفة.

ـ هل أبلغ أمك أم تفعل هذا بنفسك؟

ردّ صوت ستيلا الحاد من خلفها: «لا داعي لذلك. أنا هنا».

ونظرت إلى ابنها بتحدٍ قبل أن تستدير إلى المحامي وتبادره بابتسامة واهنة.

ـ ماركوس.. دقيق كالعادة.. كما أرى.

ـ أجل.. أنا دائماً أحاول الحفاظ على المواعيد.

وتقدم إلى المنضدة التي أخلاها أوليڤر لتوه مكملاً: «أنا مسرور لأنني أراك أفضل حالاً هذا الصباح، سيدة ويليامز. . من المؤسف جداً أنك لم تتمكني من الانضمام إلينا بالأمس».

تكورت شفتا ستيلا: «إنه لمؤسف ألا أستطع حضور جنازة زوجي. . ولا يمكنك أن تتصور أنني أردت أن أخذله. .».

قال ڤيننغ: «كنت متوترة الأعصاب. . أنا واثق».

وأدرك أوليڤر أن العجوز لم يقتنع مثله بالحجة التي تذرعت بها أمه لعدم حضور الجنازة ووضع الرجل حقيبة أوراقه على المنضدة ونظر حوله: «أين لاورا؟».

قالت الخالة نيل من عند الباب: «إنها قادمة. . هي تبدل حذاءها. . لقد أتت لتوها من الكنيسة».

ظهرت لاورا بعد بضع لحظات، وأضفت على الغرفة جواً من التوتر. وتساءل أوليڤر عما إذا كان هو الوحيد الذي أحس به أم أن أمه لم تكترث بوجود لاورا كما هو ظاهر عليها. . بالتأكيد، لا بد أنها تشعر ببعض التعاطف معها. . ففي وقت كهذا يجب أن تدعم إحداهما الأخرى.

لكن، كالعادة، اختارت ستيلا أن تتجاهل ابنة زوجها، أمّا أوليڤر، فقد وجد صعوبة كبيرة في إبعاد عينيه عن لاورا. . كانت ترتدي تنورة مرقطة قصيرة تكشف عن ساقيها الجميلتين، وكان شعرها متوهجاً لماعاً ومفعماً بالحيوية.

قالت، وقد غزا التورّد وجنتيها من جرّاء الهواء البارد في الخارج:

ـ صباح الخير. . أنا آسفة على التأخير. . كنت أتحدث مع الأب لويس. . وأخشى أنني نسيت الوقت.

أكد لها ڤيننغ بدفء: «أنا واثق أننا جميعاً نفهم كيف تحدث أشياء كهذه».

فرمقته ستيلا بنظرة كراهية أخرى. . . ونظرت إلى الباب، حيث وقفت الخالة نيل.

ـ ادخلي واجلسي آنسة تينباي، فالوصية تشملك أنت أيضاً.

بدا على الخالة نيل أنها تفضل أن تتخلى عن هذا الامتياز. . لكنها اضطرت إلى الدخول وجلست. وبعد أن تأكد ڤننغ من أن أوليڤر يفضل أن يبقى واقفاً أمام النار، جلس وراء المنضدة وفتح حقيبة أوراقه.

ولم يعد هناك سبيل للتغاضي عن وجود التوتر في الغرفة الآن. . ونظر أوليڤر إلى أمه ورأى الطريقة التي ابيضت فيها عقد أصابعها وهي تشد على مقعدها. .

التوت شفتا أوليڤر بينما أخرج المحامي العجوز مغلفاً من حقيبته. وكان ماركوس يستمتع بما يفعل. . لأنه يعرف محتويات الوصية، ويتعمد أخذ وقته لإطالة مدة الترقب المتوتر، أو ربما لا يعرف شيئاً. .

وأخرج ڤيننغ الوثائق من حقيبته. . . واستطاع أوليڤر أن يشعر بهياج أمه، والتقت نظراتها التائهة بنظراته الباردة. . لو لم تكن المرأتان تنظران إلى المحامي، لتساءلا لماذا تبدو ستيلا مرتبكة إلى هذا الحد.

تنحنح ڤيننغ يجلي حنجرته. وتصفح بسرعة الأوراق بين يديه. . ثم بوقار، ولهجة رسمية. . بدأ يقرأ: «أنا غريفيث هنري ويليامز. . وأنا بكامل قواي العقلية. .».

وانهارت أعصاب ستيلا لمعرفتها أن المحامي سيقرأ كل كلمة من الوصية: «هل يجب أن نسمع كل هذا؟».

وعندما استدركت أنها بدت مجردة من كل احساس، أجبرت ابتسامة متوترة على فمها: «أنا آسفة. . أخشى ألاّ أكون قوية كما كنت أعتقد».

قال المحامي: «إذا لم يكن لدى أحد اعتراض. . فلا أرى ما يمنع أن. . ماذا يقولون هذه الأيام أن تدخل إلى اللب؟».

قالت لاورا: «أعتقد أننا جميعاً نفضل أن تتابع القراءة سيد ڤيننغ».

وللمرة الأولى نظرت إليها ستيلا بامتنان، وقالت: «أجل أرجوك. . سأكون على ما يرام».

ونظرت بمرارة إلى أوليڤر.

قال المحامي: «هذه ظروف استثنائية».

ووجد أوليڤر نفسه يزفر أنفاساً ساخطة. وقال مسيطراً على لهجته بجهد: «أرجوك. . هل يمكن أن تتابع ماركوس؟ سنحتاج جميعاً إلى شيء نشربه بعد أن تنتهي».

واستشف المحامي بعض السخرية في تعليق أوليڤر. . . فتنحنح مجدداً وتابع القراءة.

أوصى غريف بمبالغ صغيرة من المال إلى بعض الزملاء والمعارف، مثل صاحب المقهى في القرية والطبيب الذي كان صديقاً له، كما خصص جزءاً من الميراث لأخت زوجته الراحلة. . واستراحت الخالة نيل بعد ذكر اسمها.

أعلن المحامي: «والآن نصل إلى الأملاك. . من الطبيعي أنكم جميعاً متلهفون لمعرفة كيف قسم السيد ويليامز أملاكه، ولا أنوي هنا أن أبقيكم متوترين أكثر، وبالطبع يجب أن أؤكد لكم أن هذه الوصية قانونية وملزمة ولقد فكر السيد ويليامز طويلاً قبل أن يصل إلى القرار».

ـ أوه. . هيا. . أنه الأمر بسرعة.

ولو أن ڤينتغ أغضبه نفاد صبرها، إلا أنه تحمله جيداً وأجلى حلقه للمرة الثانية، وأكمل: «. . لزوجتي ستيلا. . أترك نصف منزلي، وكل ممتلكاتي الشخصية. . ما عدا المجوهرات التي تركتها لي زوجتي الأولى، ماغي التي أرغب أن تأخذها ابنتي لاورا كذكرى للحب الذي تشاركناه أنا وأمها، كما أوصي لها مبلغاً كافياً من المال. يمكن لزوجتي أن تتابع العيش في پينمادوك، إذا أحبت، شرط أن يكون لشقيقة زوجتي السابقة، اليانور تينباي، بيت هناك. . إذا اختارت زوجتي ستيلا الزواج مرة أخرى، أو العيش في مكان آخر، يعود المنزل بكامله إلى ابنتي لاورا. . كما سيحصل على أي حال، بعد موت زوجتي».

صدرت شهقة مسموعة بعد انتهاء المحامي من قراءة هذا القسم من الوصية. لم يعرف أوليڤر من أصدرها. . وشك في أن تكون أمه. .

ـ . . آه. . هل أتابع؟

تردد المحامي. . وعرف أوليڤر أنه يتوقع نوعاً من الانفجار من أمه.

لكن، بدا أن ستيلا مصدومة أكثر من أن تقول شيئاً. . ولحسن الحظ أن ردة فعلها كان يمكن عزوها بسهولة إلى كونها لم ترث پينمادوك. . بأكملها. ماذا سيفعل هو الآن بحق الله؟

لاحظ أوليڤر أن ڤينتغ لا يزال ينتظر، فنظر إليه بحدة. . وقال بإحباط مفاجىء: «طبعاً».

وعاد المحامي مجدداً إلى الوصية: «لابنتي لاورا. . ».

وابتسم لها مشجعاً: «أوصي بالجواهر المذكورة آنفاً إضافة إلى كل كتبي واللوحات والنصف الآخر من المنزل الذي تشاركناه لسنوات طويلة، وعسى أن تولد هذه المسؤولية المشتركة تفاهماً بين زوجتي وابنتي، وأعين ابن زوجتي، أوليڤر كيمب، منفذاً لهذه الوصية».

* * *

٨ ـ ليلة رحل الحب

على الرغم من اعتراض الخالة نيل، غادرت لاورا پينمادوك بعد ظهر ذلك اليوم. كانت تعلم أن هناك أشياء تنجزها، وأوراق توقعها، وترتيبات تقوم بها، لكنها عجزت عن البقاء لمدة أطول في المنزل.. شعرت أنها بحاجة إلى الوقت، والوحدة، كي تتأقلم مع ما حدث.. وطالما أن أوليڤر موجود في البيت ذاته، لن تعرف إلى الراحة سبيلاً.

إذ لم يهدأ لها بال منذ لقائهما تلك الليلة... ولهذا السبب غادرت المنزل ذلك الصباح، على أمل أن تجد ملاذاً في الكنيسة التي كانت تذهب إليها وهي طفلة.. لكن الكنيسة كانت مليئة بالذكريات، وعرفت عندئذٍ أن لا خيار أمامها سوى الرحيل.

لكن ليس في مثل هذه الظروف.. هذا ما فكرت فيه بعد أن ترجلت من القطار في محطة «ريوستون» واستأجرت سيارة أجرة تقلها إلى فندق. لم تتوقع أن والدها قد يترك پينمادوك لها، أو أي جزء منه.

وشعرت لاورا بالرضى لمعرفتها أن خالتها نيل العجوز لن تفقد السقف الذي يحميها...

لكن موقفها هي كان معقداً.. فعدا عن العدائية المستمرة التي بينها وبين ستيلا، لم تعرف كيف ستتمكن من إمضاء بعض الوقت في پينمادوك، بينما هي تعمل في نيويورك... إضافة إلى أن ستيلا بلا ريب

غاضبة لأن غريف خانها..

أما أوليڤر..

لكنها لا ترغب في التفكير بأوليڤر الآن.. فهو لا يزال في پينمادوك يواسي أمه دون شك، ويطمئنها أنه يستحيل على لاورا أن تصعب الأمور عليها.. هو يعرف كل شيء عن عملها.. لقد اكتشف كل شيء عنها بذكاء، يوم تناولا الغداء معاً. سيؤكد لأمه أن ما من شيء تخشاه.

وصلت إلى الفندق في المساء، وأفرغت حقائبها.. اختارت واحداً من أكبر الفنادق، لأنها لا تعرف أسماء فنادق صغيرة.. وستبقى فيه إلى أن تتوصل إلى قرار بشأن ستفعله.

وبدل أن تقصد مطعم الفندق، تناولت عشاءً خفيفاً في غرفتها ووضعت هواجسها جانباً، واتصلت بالخالة نيل، لتعلمها أين هي، وتطلب منها ألاّ تفصح عن مكانها إلا في حالات الضرورة القصوى.

قالت الخالة نيل موبخة: «كان يجب أن تبقي هنا.. فهذا منزلك، فلا تدعي أحداً يقول لك عكس هذا أبداً».

أكدت لاورا لها وهي تتذكر أن ستيلا لم تقل كلمة بعد إنهاء المحامي قراءة الوصية، وهذا أمر غريب.

ـ لن أدع أحداً..

قالت الخالة بحزم: «حسن جداً.. احرصي جيداً على ذلك. فمن يدري ماذا ستحاول هذه المرأة أن تفعل الآن؟ ما زالت تحت تأثير الصدمة في هذه اللحظات، لكن هذا لن يدوم. عندما تدرك أنك أفسدت عليها خططها، فلن تكون مسرورة.

تنهدت لاورا وسألت: «أي خطط؟ خالتي نيل..».

قاطعتهاالخالة قائلة: «خططها لبيع پينمادوك طبعاً.. لا تقولي لي إنك ظننتها تريد العيش في القرية.. إنها تتشوق للانتقال إلى «كارديف» أو ما شابه منذ سنوات».

اتسعت عينا لاورا: «لكنني ظننت..».

- نعم؟ وماذا ظننت؟ أنها وأباك كانا يعيشان حياة مثالية معاً؟
- حسن جداً. .
- أوه لاورا. . ألم يقل لك؟ توقعت أنه سيكون متكبراً جداً ولن يعترف بهذا. هما لم يتشاركا غرفة نوم منذ سنوات.

جلست لاورا فجأة على حافة السرير. لم تكن على علم بأن والدها وستيلا لا يتفقان. . . . مع ذلك. . تذكرت كم بدا لها مرحاً في الصيف الماضي حين رأته في لندن، وتساءلت يومها عما إذا كان يخفي عنها ضعف صحته. . ولم يخطر لها أنه يخفي شيئاً آخر.

أخيراً ردت: «إلى ماذا تلمحين خالتي تيل؟».

ولم تعد واثقة أين سيقود هذا الحديث حتى ولو أرادت أن تكمل. . وأخذت نفساً عميقاً، وأكملت: «هل كان هناك. . هل هناك رجل آخر؟ هل هذا ما تلمحين إليه؟».

بدا أن العجوز تراجعت عن هذ الاتهام اللعين. . وراحت تختار كلماتها بدقة: «اسمعي، لا تصدقي كل شيء. . سيكون لستيلا برنامجها الخاص وتأكدي من هذا. . والأمور لا تكون عادة كما ترينها. .».

كتمت لاورا آهة. . بدا واضحاً أن خالتها غير مستعدة لتسهيل الأمر عليها. . وإذا كانت تريد معرفة أي شيء. . فعليها أن تجده بنفسها.

بعد يومين اتصلت بعم كونور، رب عملها، الذي تعاطف معها ولكن من الواضح أنه يريد منها أن تعود إلى نيويورك، فقد قال بجفاء: «في المرة الأخيرة التي نظرت فيها إلى مكتبك، لم أستطع أن أراه جيداً بسبب جبل من الأوراق. لقد مر أكثر من أسبوع لاورا. . فمتى ستعودين إلى العمل؟».

- لم يمر بعد أكثر من أسبوع. . ماتيو. . أحتاج إلى بعض الوقت لأرتب أموري.

وكادت ترى عبوسه: «أجل. . وأعتقد أن وراثة هذا المنزل أمر معقد. . أليس كذلك؟ هل تفكرين ببيعه؟ لا أعتقد أنك تحتاجينه».

هزت لاورا رأسها بشدة. . فرأيها مختلف تماماً عن رأي مات في هذا الموضوع.

قالت: «هذا ليس وقت البيع».

حتى لو كانت ستيلا مستعدة للبيع مقابل نصف المكاسب. . فلاورا لا تريد أن تتخلص من المنزل القديم.

- قلت لك. . لقد ترك والدي نصفه لأرملته. . ولا أستطيع الطلب منها، أو من خالتي، أن تجدا مكاناً آخر تعيشان فيه.

قال ماتيو بصرامة: «حسن جداً. . عليك اتخاذ قرار. . أنا أحتاج إليك هنا. . وكما قلت من قبل، العمل يتكدس».

صمت لحظة: «هل تخفين عني شيئاً، يا حلوتي؟ هل التقيت رجلاً من ماضيك يريد منك البقاء في انكلترا؟».

- لا!

كان ردها حاداً بشكل مقنع، لكنها لم تستطع مقاومة التفكير بأن شكوكه ليست بعيدة جداً عن الواقع.

قالت: «سأعود في الأسبوع المقبل على أبعد حد. . وحتى ذلك الوقت، عليك أن تدبر أمورك من دوني».

أقلقتها كلمات ماتيو من جهة وتلميحات خالتها من جهة أخرى. وتلك الليلة لم تجد للنوم سبيلاً. . . هل هي شفافة في مشاعرها إلى هذا الحد ليكشف عم كونور عمّا يعتمل داخلها عبر الهاتف؟

مهما يكن الأمر، حين أوت إلى الفراش تلك الليلة، لم تدهش حين انجرفت أفكارها إلى تلك الأمسية المهلكة. . الأمسية التي استجمعت فيها شجاعتها ودخلت غرفة أوليفر. يا للسخرية! كيف تجرأت وفعلت ذلك. . . فهي تعرف الآن أنها لا تتحلى بتلك الشجاعة لتعيد الكرّة.

لكن الأحداث التي جرت في ذلك المساء وما بعده قلبت حياتها رأساً على عقب. . . ومن دون تلك الذكريات، لما كانت ما هي عليه اليوم، ولما شعرت بتلك الضغينة نحو أوليفر. . مع أنها لم تشعر بها حين لاطفها

ليلة جنازة أبيها. . إنما على العكس، تحركت فيها تلك المشاعر التي اعترتها منذ أربعة عشر عاماً.

كان ذلك اليوم حاراً جداً، على غرار فصل الصيف كله. . . وكان المزارعون الذين يرعون مواشيهم في الأراضي المحيطة ببينمادوك، يصلون. . بدا هبوب العاصفة وشيكاً، ممّا أقلق لاورا، أو هكذا قالت لنفسها، إضافة إلى أنها أمضت طوال بعد الظهر تراقب أوليڤر يتمرّن مع فريق المدرسة الرياضي، وكانت تحسّ بالفخر كلما تمدّد على العشب إلى جانبها. . أمام حسد العديد من الفتيات اللواتي يكبرنها سناً.

لكن، الفخر ليس السبب الوحيد الذي دفعها إلى التململ بجانبه، إنما قوته وهو يتكىء إلى جانبها.

لا بد أن مشاعرها ظهرت في عينيها. لأن أوليڤر لاحظ ذلك. وقال:

ـ لا تنظري إلي هكذا حبيبتي. . وإلا نلت أكثر مما تفكرين به.

ردّت بحدة: «حقاً؟».

وغزا التورد خديها، حين غمزها بطرف عينه.

أطلقت هذه الحركة الحميمة الصغيرة، العنان لمشاعر وأحاسيس لم تعرفها يوماً. لكن أوليڤر استدعي مجدداً إلى الملعب. . وحين عاد مجدداً، لم تتح الفرصة للاورا لإشعال الموقف الحميم السابق. فقد أتى برفقة أصدقائه الرياضيين الذين قرروا أن يقصدوا أحد المقاهي. رافقتهم لاورا، إلاّ أنها شعرت أنها دخيلة بينهم، فهي تصغرهم سناً والفتيات الأخريات كن المسيطرات.

ثم عاد كل إلى منزله. . . حين وصلا إلى بينمادوك، ذهب ليستحم على الفور وأملت لاورا أن يخرج والدها وستيلا للعشاء، ذلك المساء. . لكن احتمال هبوب العاصفة جعل الجميع متوتراً. بعد تبادل بضع كلمات مع زوجها عن تبذيرها للمال، أعلنت زوجة أبيها أنها تنوي أن تستحم ولا تريد أن يزعجها أحد. . واختفى أوليڤر في غرفته أما لاورا فكانت تنظف الصحون مساعدة بذلك خالتها نيل. . وبما أن والدها دائماً ينسحب إلى

مكتبه الخاص حين يكون غاضباً، أمضت هي بقية الأمسية وحدها.

أخلدت إلى النوم حوالى الساعة الحادية عشرة وأمضت الساعة التي تلت تحاول فهم قصة مارغريت أتوود التي أسرت اهتمامها قبل الآن. . لكن أفكارها تخطت الكلمات، وبعد أن قرأت عدة صفحات بدون أن تفهم كلمة منها، وضعت الكتاب جانباً.

لم تستطع التوقف عن التفكير بأوليڤر. ولم تعرف السبب بالضبط. . لكن، بطريقة ما اتخذت علاقتهما بعد ظهر ذلك اليوم منحى أكثر جدية وأرادت أن تتحدث إليه بالأمر. . أرادت أن تعرف ما إذا كان يبادلها الشعور. . . أو أنها تتخيل هذا الجو الحميم الذي جمعهما.

صحيح أنها في السادسة عشرة، لكنها ليست ساذجة. . وهي تعرف تماماً ما تعنيه هذه الجاذبية.

وكانت تأسرها فكرة التقرب من أوليڤر. وتذكرت جسمه اللين الأسمر وطريقة تحرك عضلاته تحت بشرته المشدودة وأحسّت برجفة في أوصالها.

لم تتوقع يوماً أن تُغرم بهذا الشكل. واضطربت أفكارها. . . ما هو هذا الشعور الجميل الذي يغمرها وما هي تلك الأحاسيس الناعمة التي تدغدغ كيانها. أو ليس هذا هو الحب؟

وعرفت أنها لن تستطيع النوم ما لم تشارك مشاعرها مع أحد. ولكن ليس لديها صديقة مقربة. . ولا مجال لبحث الأمر مع والدها. أما ستيلا. . حسن جداً. . تعرف تماماً كيف ستكون ردة فعلها لو اعترفت لها بمشاعرها.

هناك إذن حل واحد. . عليها أن تأمل بألاّ يكون أوليڤر قد نام فالوقت متأخر. فلديه جهاز كومبيوتر في غرفته، وتعرف أنه أحياناً يلعب بعض الألعاب عليه لساعات.

وكان أمراً مروعاً أن تخرج من غرفتها. . وفكرت بالكابوس المرعب لو أن أحداً شاهدها تدخل غرفته. . كانت تشك في أن تجد أي تعاطف من

أبيها هذا عدا استهجان زوجة أبيها . .

على الرغم من أنها ارتدت ثوب نومها السميك، بدا لها الممر بارداً، وموحشاً . صحيح أنها اعتادت إزعاج أوليڤر بمزاحها معه بأن پينمادوك بيت غير آمن، إلا أنها لم تصدق قط هذا . حتى تلك الليلة، كانت حافية القدمين، وترتجف خوفاً، وكان من السهل أن تتصور أنها ليست بمفردها.

أحسّت براحة كبيرة لوصولها إلى غرفة أوليڤر. لم يتسرب أي ضوء من تحت الباب. لكنها افترضت أنه يعمل على جهازه بدون أن يستعمل الضوء. فاستجمعت شجاعتها وفتحت الباب. وما كان من المنظر الذي رأته بعينيها المجفلتين، إلا أن خطف أنفاسها وسمّرها مكانها.

كان أوليڤر هناك، نائماً، والغطاء الذي يضعه فوقه مكشوف إلى صدره.

لم تكد تعرف ما تفعل. خطت لاورا إلى الداخل وتركت الباب ينغلق خلفها، محاولةً ألاّ يصدر أي صوت في الممر ثم تراجعت تستند إلى الباب . . تحدق فاغرة الفم إلى ابن زوجة أبيها المستلقي في الفراش.

كانت الستائر مفتوحة، ونور القمر يتدفق على سريره . . في النور الفضي، بدت بشرته لمّاعة كبشرة ذلك المخلوق الغامض الذي سكن المياه في اسكتلندة. عندما رأته لاورا، ذهلت ولكن بدلاً من الخروج من هناك دفعت بنفسها عن الباب وتقدمت إلى السرير . . ومدّت يدها نحوه لتوقظه:

ـ ما هذا بحق . . . ؟

واستيقظ أوليڤر مجفلاً، مما أخاف لاورا كثيراً، بحيث أنها للحظات، عجزت عن الحراك . . وجمدت حيث هي، متسعة العينين كأرنب بري تسمّر أمام أنوار سيارة. ونظرت إليه بذعر تام.

ـ لاورا؟

على الرغم أنه أجفل هو أيضاً لوجودها، إلا أنه استعاد وعيه بسرعة

أكبر، وشد الغطاء على صدره بيد ورفع نفسه على مرفقه الآخر.

ـ بحق الله . . ماذا جرى؟

جف حلق لاورا: «أنا . . أنا . . لا شيء . . حسن جداً . . أردت أن أكلمك».

رمش أوليڤر بعينيه ونظر إلى الساعة قرب السرير: «في الثانية عشرة والنصف؟ بحق الله . . ما هو هذا الأمر المهم الذي لا يمكنه الانتظار حتى الصباح؟».

ـ لا . . لا شيء.

أدركت لاورا فجأة أنها ارتكبت غلطة فادحة . . وعلى عكس ما اعتقدت، لم يتأثر أوليڤر بما حدث بعد الظهر، ولماذا يتأثر بحق الله؟ لقد مازحها فقط . . لكنها بالغت في تفسير مزاحه.

قالت تتعثر لتقف: «انسَ الامر . . وأنا آسفة لإزعاجك».

ـ لاورا . .

بدت لهجته محبطة، لكنها سمعت ما يكفي . . لقد جعلت من نفسها غبية بالكامل، وستكون محظوظة إذا لم يخبر أصدقاءه عن مدى غبائها . .

وكان كل ما تريد أن تفعله هو العودة إلى غرفتها في أسرع وقت ممكن، ونسيان ما فعلت.

كانت تبحث عن أكرة الباب عندما امتدت يده فوق كتفها لتسند الباب.

قال بصوت أجش: «انتظري . . وقولي لي لماذا جئت إلى غرفتي حقاً! أريد أن أعرف».

أخذت لاورا نفساً عميقاً . . وفكرت دون ثبات: إنه خلفها . . . تغمرها حرارة جسده، وينتابها ذلك الاحساس الذي شعرت به بعد ظهر ذلك اليوم.

قالت بصوت مخنوق: «تريد أن تعرف».

بالطبع يريد ذلك، وإلا لما ترك سريره وتبعها . . . أراد أن يعرف

بالضبط ما الذي دفعها للقيام بخطوة خطيرة كهذه. . . وعرفت فجأة أنها في خطر. . لكن، ليس منه، بل من نفسها.

قال بالقرب من أذنها: «قولي. . هيا حلوتي».

تركت يده الباب واستدار ليواجهها:

ـ تكلمي معي.

تسارعت نبضات قلبها وتجمّدت الكلمات في حلقها. ما هذه الأحاسيس المربكة التي تعتمل في قلبها. . .

قال بصوت خشن: «لاورا. .».

كان يرمقها بتلك النظرة الساحرة: «أرجوك. . كلمبني. . قولي لي إنك لم تأتي إلى هنا بسبب ما قلته لك بعد ظهر اليوم. كنت غبياً. . ما كان يجب أن أقول شيئاً. . ولا أن أمازحك هكذا. .».

ابتلعت لاورا غصة ارتفعت إلى حلقها. . أرادت أن تبتعد لشعورها بالإذلال، إلاّ أنه منعها وتمتم متأوهاً: «لا تذهبي».

وبينما كانت تقاوم لئلا تخونها ساقاها المرتجفتان، اتسعت عيناها عجباً حين نظرت إلى عينيه اللتين بدا فيهما شيء من وخز الضمير، وإذا به يقول مرتجفاً: «يجب ألا نكون متهورين؟».

ـ تعني أنني أخطأت بدخولي إلى هنا؟

ـ ألا ترين ذلك أيضاً؟

ـ أنت على حق، لكني لم أطق الصبر حتى يوم غد، أردت أن أتأكد من مشاعرك فأنا لست طفلة. . أوليڤر.

صرّ على أسنانه: «يا الله لاورا. أعرف أنك لست طفلة فأنت شابة رائعة. . أنا معجب بك. . وتعرفين هذا. . لكن وجودك هنا غير صائب».

تأرجحت ثقة لاورا بنفسها لحظة

إنها تحب أوليڤر، وأوليڤر يحبها. . ولا أحد يستطيع شيئاً حيال ذلك.

واعترفت لاورا الآن أنها كانت مخطئة جداً، وارتجفت اشمئزازاً، لأن ما حدث لاحقاً ضيّع عليها فرحتها.

فقد أفسدت ستيلا كل شيء عليهما. . لا. . ليس عليهما. . بل عليها فقط. . حين اقتحمت زوجة أبيها الغرفة، كانت لاورا مذهولة عاجزة عن التفكير بوضوح. . وأخذت ترفرف عينيها انبهاراً من نور الكهرباء، وكأنها حيوان الخلد وقد سحبه الصياد لتوه من حجره ليواجه أشعة الشمس.

وهذا ما أحست به. . الصدمة والخجل لأن ستيلا اكتشفت أمرهما. وجهها الجامد دمر اللحظة التي كانت تتشاركها مع أوليڤر. . وكم أجبرت نفسها على الامتناع عن الصراخ بغضب.

وبالطبع، كان لستيلا ما يبرر غضبها. . فهذا بيتها. . ولقد خانا الثقة التي وضعتها فيهما. واعترفت لاورا بهذا. . واعترفت أن زوجة أبيها اتهمتها بأنها المسؤولة عن خيانة أوليڤر لتلك الثقة. . . لكن ما لم تستطع مسامحته هو أن أوليڤر تآمر مع أمه لكتم ما حصل.

كان من الواضح أن العاصفة المرتقبة هي التي أبقت ستيلا صاحية. . وقد منعتها الحرارة والرطوبة من النوم، فقرّرت أن تنزل إلى الطابق السفلي لتعد عصيراً، إلاّ أنها سمعت همسات في غرفة أوليڤر.

وحسبما تذكر لاورا أنها فرحت حينها لأن من دخل عليها ليس والدها، وعرفت لاحقاً أن ما دفع ستيلا لإخفاء الأمر عن زوجها لا علاقة له إطلاقاً بإنقاذ لاورا من عقاب معين، إنّما لمنع ابنها من ارتكاب أكبر غلطة في حياته.

الله وحده يعلم ماذا قالت لأوليڤر بعد أن خرجت لاورا من الغرفة. ارتكبت خطأ فادحاً بخروجها من الغرفة. . ولقد ظنت لاورا أنها كانت تحاول تسهيل الأمور بخروجها من الغرفة. . لكن فيما بعد أدركت أنها باستسلامها لمطالب ستيلا ارتكبت خطأ فادحاً.

وحرصت ستيلا على ألا تحظى لاورا بفرصة أخرى تنفرد فيها مع

أوليڤر قبل أن يسافر إلى أوروبا. . ولأن لاورا لم تكن تعرف أنه يفكر بالسفر، كانت مستعدة أن تنتظر، لأنها كانت واثقة أن أوليڤر، عاجلاً أم آجلاً، سيتدبر لقاء يجمعهما.

لكن هذا لم يحدث. . فقد استيقظت ذات صباح لتبَلّغ أن أوليڤر سافر إلى «دوڤر» في الليلة السابقة. ولم يودعها ولم يترك لها رسالة يعتذر فيها على ما جرى. . . ولأن والدها لم يعرف شيئاً عما حدث، لم تستطع مشاركته أحزانها.

استدارت لاورا تسوي وسادتها. . وتتمنى لو رأت أوليڤر. . كيف سمحت بملاطفتها منذ بضعة أيام؟. . كيف سمحت له أن يقترب منها بما يكفي ليظن أنها ترحب بوجوده؟ هو لم يتغير، فهو الآن بوجهين كما كان في تلك الأيام. . لكنه الآن يخدع فتاة مختلفة.

يا للمسكين الأبله!

توترت لاورا، ثم هدأت مجدداً، لكن تفكيرها لم يتركها تستريح.

ولسوء الحظ بقي الأمر عالقاً بينها وبين ستيلا. . وافترضت أن السر سيبقى هكذا دائماً. . ولقد فهمت سبب استعداد ستيلا للصمت. . فهي لم ترغب في أن يسمع ابنها العزيز أي خبر عن لاورا، وكالعادة كانت تحميه. ولهذا السبب بقيت علاقتها بزوجة أبيها على حالها. . وكانت تعرف أن والدها كان يأمل بأن تتغير الأمور مع الوقت، لكن لاورا لم تتمكن من وضع الماضي خلفها وستيلا لم تتركها تنسى ولهذا السبب رفضت العودة إلى بينمادوك بعد تخرجها من الجامعة. . . ووافقت على الزواج بكونور نيل، وإن كان ذلك عن غير حب. . . لكنها أرادت الابتعاد، قدر المستطاع عن أوليڤر، علّها تجد حياة أفضل.

وأكدت لنفسها أن هذا ما حصل. . حسن جداً، زواجها لم ينجح، لكن هذا كان غلطة كونور بقدر ما هو غلطتها. . فرغباتهما مختلفة كل الاختلاف. . . ولم تتمكن هي من تفهمّه.

على أي حال. . كان اللقاء بأوليڤر مجدداً تجربة مرعبة. . . فقد ظنت

أن باستطاعتها تخطي الماضي، إلاّ أنه اتضح لها أن تأثيره عليها ما زال كبيراً.

* * *

٩ ـ توأم روحه

ـ هل أنت بخير سيد أوليڤر؟

توقف توماس وهو يزيل طبق أوليڤر، وراح يتأمل طبق الطعام بقلق.. منذ عاد رب عمله من وايلز قبل يومين، وهو لا يلمس طعامه إلا قليلاً..

ـ أجل.. أنا بخير..

نظر أوليڤر برضا إلى توماس قبل أن يتابع: «أعتقد أنني ما زلت أحاول أن أتأقلم مع تغير الظروف.. أنا لست معتاداً على الجلوس طوال اليوم، دون أن أفعل شيئاً.. السفر إلى ذلك الوادي الضيق أرهقني كثيراً..».

ركز توماس الطبق على ذراعه، ثم عبس:

ـ لقد مرت ثلاثة أسابيع على عودتك من ماليزيا يا سيد أوليڤر.. ولا أظنك تعاني من تعب السفر.. أنا لا أصدّق هذا.

رفع أوليڤر حاجبه ممازحاً: «لا تصدق؟ هل تنعتني بالكذب؟».

ضغط توماس على شفتيه: «لا تحاول تفادي المسألة سيد أوليڤر. ثمة خطب.. أليس كذلك؟».

وأخذ نفساً عميقاً: «ألا يجب أن أعرف به؟».

ـ إذا كنت تظن أنني أعاني من مرض فتاك، وأنني أحاول إخفاء الأمر عنك، فانسَ الأمر، فصحتي ممتازة كالحصان.

ـ إذن لماذا...

بدأ أوليڤر يفقد صبره: «لست جائعاً.. لقد تناولت «همبرغر» وهذه

نهاية القصة».

ـ لقد مر على ذلك ست ساعات على الأقل.

ـ يكفي توماس، أعرف أن نيتك حسنة.. لكنني أعرف كذلك متى أشعر بالجوع ومتى لا أشعر به وأنا الآن لست جائعاً.

ـ حسن جداً..

غادر توماس الغرفة، محاولاً إخفاء استيائه، بينما تبعه أوليڤر شاتماً، ليدخل مكتبه الخاص.

لكن.. تباً.. هو بحاجة إلى القهوة القوية ليفكر جيداً.. ماذا دهاه بحق الله؟ توماس على حق، يبدو شخصاً آخر...

ظهر توماس عند الباب: «هل ترغب في القهوة سيد أوليڤر؟».

قال بنبرة اعتذار: «ليس الآن.. أعتقد أنني سأخرج. لقد وعدت غاي ماكينا أن أريه الصور السلبية ما إن تصبح جاهزة ولقد أنجزت الكثير منها».

ولكن هنا تكمن مشكلة أخرى... لقد مضى على عودة أوليڤر أكثر من يومين، إلا أنه لم يقم بعمل كثير.. وإذا كان ينوي رؤية غاي ماكينا، فلأنه يريد الاعتذار منه على التأخير.

لكنه قلق بسبب تلك الوصية التي لا يعرف ما إذا كانت قانونية..

لقد طلبت أمه أن يتخلص من هذه الوصية التي لا يبدو أن أحداً يعرف بوجودها، أقله ليس لاورا التي غادرت بينمادوك بعد قراءة الوصية التي قرأها عليهم المحامي بدون توديع أحد. يبدو أنها لا ترغب في السكن في بينمادوك.. ليس على الفور على الأقل.. وسيعود المنزل إليها فور زواج أمه مرة أخرى.

أضاف: أو موتها.. لم تكن فكرة تعرض ستيلا للموت سهلة عليه... فهي أمه... ومهما فعلت، ومهما كانت الأسرار التي تخفيها عنه، فقد كانت زوجة غريف..

لكن، لسبب ما، غيّر غريف وصيته.. ولم يستطع أوليڤر إلا أن

يتساءل ما هو الإحساس الذي تسبب بمثل هذا التغيير. ماذا فعلت ستيلا؟ أي كذبة كشفها غريف؟ أي خيانة قامت بها ستيلا ليقرر العجوز حرمانها من بينمادوك؟

في الأيام التي تلت رحيل لاورا، لم يجد أي رد على تساؤلاته، فأمه لم تقل أو تفعل شيئاً مريباً، والخالة نيل كتمت مشاعرها، كما تكتمت على مكان وجود لاورا. وراح أوليڤر يتخبط مع أفكاره. هل يترك الأمور على حالها، فهو لا يريد أن يبعد أمّه عن بينمادوك، كما لا يريد أن يتركها تنفذ مخططاتها فيخون كل ما آمن به يوماً. وحتى يصل إلى حل، لن يغمض له جفن.

ولهذا السبب أحضر الوصية معه إلى لندن، إضافة إلى مفتاح الخزنة..

واعترف أنه لا يثق بأمه، وفكر في الوصية المخبأة بأمان في درج منضدة مكتبه. لكن، بطريقة ما، الأمور وقف على رغبته.

ـ إذا كنت تقول هذا.. سيد أوليڤر.

عند سماع ردّ توماس المستنكر، عاد أوليڤر إلى دنيا الواقع... وتساءل متى بدأ ذلك يحصل له... حين مات غريف دون شك. وقد رفض بذلك الإقرار بأنّ لقاءه بلاورا زعزع تلك الحياة التي أسسّها لنفسه.

وقبل أن يتفوه أي منهما بكلمة، رنّ جرس الهاتف، فتقدم أوليڤر إلى المنضدة والتقط السماعة بنفسه. كان بحاجة إلى ما يلهيه، ولكن ما من أمل في أن تكون لاورا هي المتصلة.

بدا صوت ناتالي مرتفعاً حاداً وغير مألوف: «أوليڤر! أوليڤر هذه أنا! واحزر أين أنا؟».

وقبل أن يتلقى جواباً، تابعت: «أنا هنا في هيثرو. لقد توقف التصوير بسبب توعك بعض الفنانين، لذا عدت قبل الموعد المحدّد... أليس هذا عظيماً، هل اشتقت إليّ؟».

رفع أوليڤر نظره إلى توماس وهز كتفيه: «أنا.. طبعاً.. هذا رائع

ناتالي».

وحاول إظهار بعض الحماسة في صوته... إلا أن الأمر بدا صعباً عليه، فهو لم يفكر بصديقته منذ أسابيع.

ـ لو تأخرت قليلاً، لما وجدتني... في الواقع.. كنت في طريقي للخروج حين رن جرس الهاتف.

ـ الخروج؟

وبدت ناتالي أقل حماسة الآن: «أقول لك إنني أتيت من مكان يبعد أكثر من أربعة آلاف ميل لأكون معك، وكل ما تقوله لي، إنك في طريقك للخروج.. هيا الآن أوليڤر، لا يمكن أن تكون جاداً».

تنهّد أوليڤر: «أخشى أنني كذلك».

وفكّر بسخرية، أنه على وشك أن يبعد عنه كل من يهتم لأمرهم في حياته، فلقد تشاجر مع أمه حين اكتشفت أنه سيأخذ مفتاح الخزنة معه.. فهل يحتاج حقاً إلى المزيد من تفاقم الأمور..؟ وفتش عن رد مبهج.

ـ ما أروع أن أسمع صوتك نات! هل كانت رحلتك جيدة؟

ولم تهتم ناتالي بإخفاء توترها: «وهل تهتم؟ كنت سأقترح عليك أن تأتي إلى المطار لتقلني.. لكنني أعتقد أنك مشغول جداً. وأريد أن أخبرك أننا غادرنا الجزيرة عند الفجر لنلحق بهذه الطائرة من نيويورك. وأنا متعبة وأشعر بالبرد، وأريد الذهاب إلى البيت لأستحم.. وأودت أن أراك».

تأوه أوليڤر: «اسمعي نات..».

ـ لا تسخر مني أوليڤر.. لا سيما وأنت تفضّل عملك على المرأة التي يُفترض أنك تحبها... هل تدرك أنه مرّ شهر على لقائنا الأخير؟

ـ أجل.. أعرف.. لكن..

ـ لكنك لن تغير رأيك.. أليس كذلك؟ أتساءل أحياناً عما إذا كنت تهتم لأمري أم لا.

وكان أوليڤر يتساءل عن هذا أيضاً. ولم تساعده النظرة المتسائلة التي رمقه بها توماس... وقال أخيراً: «حسن جداً.. انسي ما قلته لك.. أنا

قادم. أجل. . أجل. . على الفور. أخبريني أين أنت».

عندما ألقى أوليڤر السماعة من يده، سأله توماس: «تغيير آخر في الخطة؟».

وزفر أوليڤر نفساً متعباً: «بمكنك قول ذلك».

ـ هل ترغب بشراب ما؟

ـ لا. . سأشرب شيئاً في المطار.

تظاهر توماس بأنه لم يفهم: «المطار؟».

ـ أجل المطار. لقد عادت ناتالي. . وسأذهب لأحضرها.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل حين غادر أوليڤر شقة ناتالي. فقد استغرقت الإجراءات الرسمية في المطار وقتاً طويلاً أضف أنه اضطر لدفع مبلغ كبير من المال لكي يفك الحجز عن سيارته بسبب إيقافها في مكان غير قانوني. وبدا متوتراً جداً في طريقة العودة. وازداد توتره حين وصلا إلى الشقة ولم تجد ناتالي مفتاحها. . وأخيراً وجدته في أسفل حقيبة مستحضرات التجميل. .

وعندما رفض دعوتها للدخول أثارت جدالاً آخر، لكن أوليڤر كان مرهقاً جداً ليسليها. . ووعد أن يتصل بها في الصباح. . قبل أن يعود إلى سيارته، يرافقه إحساس بالراحة والتكدر معاً.

وجد رسالة قرب الهاتف. . وتوقع أن تكون المتصلة ناتالي لتتأكد أنه ذهب إلى المنزل مباشرة لذا لم يُعر الرسالة أي اهتمام.

وبينما هو يستدير، لفت انتباهه اسم اليانور تينباي، فمن عادة توماس أن يسجل الأسماء بأحرف بارزة ودفعه الفضول إلى قراءة الرسالة.

كانت الرسالة مختصرة وواضحة. . لقد تم اقتحام پينمادوك ذلك المساء بينما كانت الآنسة تينباي وأمه في الخارج. ولأنها تعرف أن لاورا ستنزعج للخبر، أرادت منه أن يتصل بها ليخبرها بما حدث وقد زوّدته بعنوان فندق لاورا. فكر أوليڤر بسخرية القدر، وكيف وصلته هذه المعلومات على حين غرّة بينما سعى جاهداً للحصول عليها. . . يجب أن

يتصل ويقول للمرأة العجوز، أن تجد شخصاً آخر ليكون مرسالها. . ثم لاحت في رأسه أنكار عما جرى، ورفض أن يعترف بالارتياب الذي انتابه بأن تكون ستيلا متورطة.

وعبس. . ومزق الورقة من الدفتر، ثم سحقها بيده قبل أن يرميها في سلة المهملات. . ليته لم يضطر للخروج هذا المساء. وتساءل متى اتصلت العجوز. . فلو كان هنا قبل الآن لتمكن على الأقل من الاتصال بلاورا ليرى ماذا تنوي أن تفعل.

نظر إلى ساعته. . وارتأى أن ينتظر حتى الصباح. . ليزورها في الفندق باكراً لكي يتمكن من اللحاق بها قبل أن تخرج، وهو يرجّح أن تخرج فربما لديها زملاء هنا.

لكن، أي زملاء؟ وشعر بالاكتئاب وهو يصعد السلم إلى جناحه في الطابق الثاني. . هل هم زملاء أم زميلات؟ ولماذا يهمه هذا على أي حال؟

بالرغم من التأكيد الذي أكده لنفسه بأنه من غير المحتمل أن تغادر لاورا الفندق قبل الساعة التاسعة، إلا أنه استيقظ وارتدى ملابسه في السابعة من اليوم التالي، ليفاجىء توماس وهو يتصفح جريدة الصباح ويشرب فنجان الشاي واغتنم أوليڤر الفرصة ليسأله عن المكالمة التي تلقّاها ليلة أمس.

سأل: «في أي ساعة اتصلت؟ وما التفاصيل التي أعطتك إياها؟».

ـ الآنسة تينباي لم تعط أي تفاصيل. . ولا أظنها أرادت أن تتكلم معي كثيراً. كل ما قالته هو أن پينمادوك تعرضّ لاقتحام، وأن أقول لك بأن تبلغ الخبر إلى السيدة نيل. وأعتقد أنها فكرت أنك قادر على الاتصال بها إذا أردت. . لكن حدسي أنبأني بأنها أرادت اختصار الاتصال قدر الإمكان.

وتساءل أوليڤر عن السبب. . هل تعرف أمه أنها اتصلت به؟ لماذا لم تتصل أمه بنفسها؟ ودّ لو يتصل بستيلا ويسألها عما يجري، لكنّه منع نفسه عن ذلك. . وفضل أن يرى وجه أمه حين يكلمها.

لكن هذا لم يمنعه من الاتصال بخالة لاورا.

أبدى أوليڤر ارتياحاً عندما ردت عليه الخالة نيل. ولم تبدُ عليها الدهشة حين عرفت أنه هو.. وسأل: «ما مسألة اقتحام المنزل هذه؟ ماذا حدث؟».

أجابته المرأة المسنة بسؤال: «هل رأيت لاورا؟».

أصدر أوليڤر تنهيدة ساخطة: «ليس بعد.. كنت آمل أن تتمكني من إعطائي المزيد من التفاصيل.. ماذا سُرق؟».

ترددت الخالة نيل: «أفضل ألاّ أناقش هذا على الهاتف».

وعندما توقعت أن يطلب المزيد، أضافت: «لست واثقة مما سرق.. نحن.. لا نزال نتفحص المكان».

كبت أوليڤر نفاد صبره: «لكنها كانت عملية سرقة؟».

ـ أفضل الحديث إلى لاورا، إذا كنت لا تمانع.

أراد أوليڤر أن يسألها لماذا لم تتصل هي بها، ثم افترض أنه يفهم سبب تردد العجوز في مناقشة أي شيء معه. مهما كان الذي حدث.. فلاورا هي المعنية فعلاً.

* * *

عندما وصل أوليڤر إلى فندق «ويست أند»، نظر إليه أحد الموظفين بعينين مرتابتين... مع أنه معتاد على رؤية مرتادي حفلات الليل وهم يعودون وقت الفطور.. لا سيّما أن أوليڤر بكنزته المرتفعة الياقة، وبنطلونه الأسود، وسترته الجلدية السوداء، بدا واحداً منهم، خاصة أنه لم يحلق ذقنه.

وبينما كان يجتاز قاعة الاستقبال الرخامية، متجهاً نحو مكتب الاستعلامات راح يفكر بأنه كان عليه الاتصال بلاورا قبل مجيئه، لكنه لم يشأ أن يمنحها فرصة للاتصال بپينمادوك لمعرفة ما جرى، فتبالغ أمه في تضخيم الموقف..

كانت موظفة الاستعلامات خدوماً.. وما إن أكد لها أنه عاد من

الخارج لتوه، ويأمل أن يفاجيء ابنة زوج أمه، حتى أعطته رقم غرفة لاورا... استخدم أوليڤر المصعد حتى الطابق السادس وهو يعي أن قلبه يخفق بقوة. وحين قرع باب لاورا، أحس بتعرق كفيه.

تبّاً.. ماذا يحدث له؟ لم يعد ولداً صغيراً، وهو لم يشعر بشيء حين ذهب للقاء ناتالي، أو حين كان يذهب للقاء أي امرأة، ولاورا ليست أي امرأة، فهي ابنة زوج أمه.

قرع الباب ولم يسمع أي جواب، وعاود الكرّة وهو يصرّ على أسنانه. وبدا له أنّ ما من حركة وراء ألواح خشب الباب الثقيلة.. وتساءل عما إذا كانت نائمة، هذا ممكن.. فهي على عكسه، لم تؤثر فيها مواجهاتهما في پينمادوك.. وكان على وشك الانصراف ليقول للخالة نيل إنه لم يتمكن من الاتصال بها.

لكنه انتبه إلى منظار الباب... ماذا لو كان مخطئاً؟ ماذا لو كانت تقف الآن في الجهة الأخرى من الباب تراقبه؟ وقطب حاجبيه، إذ لم يعجبه أن يسخر منه أحد، على الأقل ليس هي.

وبدأ يشعر بالارتياب، وبنفاد الصبر، وأخيراً تناهى إلى سمعه صوت مياه جارية من خلف الباب الموصد... وخمن أن لاورا تستحم. ولهذا لم تفتح له، لأنها لم تسمعه.

لكن، عندما توقف صوت الماء فجأة، خطرت بباله فكرة أخرى.. ربما كاميرات أمن الفندق تراقبه الآن... فالممر فارغ وما من شك أن وجوده مثير للارتياب.

تنهد، وحاول مرة أخيرة.. إذا لم تفتح الباب هذه المرة، فسينزل إلى الطابق الأسفل ويتصل بها.. فآخر ما يريده هو أن يعتقل بتهمة التسكع المتعمد.

وأحسّ بالخجل وهو يقرع الباب ثانية. وزفر تنهيدة ارتياح حين سمع حركة في الغرفة.. ومرّت لحظة محطمة للأعصاب وهو يعتقد أنها نظرت عبر ثقب الباب وقرّرت ألاّ ترد عليه.. لكن القفل تحرك وانفتح الباب.

لم تقل شيئاً . . بل وقفت هناك ترتدي روب حمام، ومنشفة تلف بها شعرها الأحمر المبلل وتعلقت الخصلات المجعدة المبللة على خديها المحمرين لتتناقض مع لون الروب الأبيض.

حين لم تقل شيئاً، قال وهو لا يزال يعي وجود كاميرات الأمن:

ـ مرحباً هل لي أن أدخل؟

ـ لماذا؟

ردّ خاطىء.

تنهد أوليڤر ونظر إلى الممر صعوداً ونزولاً . . وقال أخيراً: «لأننا مراقبون . . أدق هذا الباب منذ خمس دقائق، ولقد بدأت الإدارة ترتاب».

ـ كنت في . . .

ـ الحمام . . أجل . . أرى هذا.

ولم يستطع منع عينيه من التجول على بشرتها الناعمة، والتوت شفتاه بسخرية.

ـ حسن جداً؟ هل ستخاطرين بأن يعتقل أقرب أقربائك؟

توتّرت شفتا لاورا بسبب نظرته الممعنة الثاقبة، لكنها لم تكذّب تفسيره لعلاقتهما.

وتنحّت جانباً وهي تقول: «أعتقد أن من الأفضل أن تدخل، إذن . . ».

ودخل أوليڤر وانتظرت إلى أن أغلق الباب، وعادت بسرعة إلى الحمام . . لتغلق بابه أيضاً . . وزفر أنفاساً غاضبة . . ماذا الآن؟

دنا من باب الحمام: «أريد أن أكلمك . . أتعرفين هذا؟ لا يمكنك البقاء في الداخل إلى الأبد».

قابل الصمت قوله . . وكان على وشك المطالبة بأن تتوقف عن التصرف كالأغبياء وأن تخرج من الحمام، حين انفتح الباب وظهر وجه لاورا.

ـ عمّ تريد أن تتكلم؟

ـ اخرجي لأقول لك.

وانزعج أوليڤر لمعرفته أنه ليس غاضباً منها، أنما يقاوم نوعاً مختلفاً من المشاعر . . سار بتصميم إلى داخل الغرفة، ثم استدار نحوها: «هل سمعت شيئاً من خالتك؟».

أخيراً، قال شيئاً مناسباً . فقد لفت أطراف روب الحمام حولها جيداً، وغادرت الحمام ودخلت الغرفة . . كانت حافية القدمين، وهذا لم يساعد نفسيته . ولا ساعدته كذلك الستائر المقفلة أمام نور الصباح الباكر، ولا الإنارة المنبعثة من المصباح قرب السرير الكبير.

سألت، وهي لا تزال حذرة منه: «ولماذا أسمع شيئاً من الخالة نيل؟».

وعبس أوليڤر.

ـ حسن جداً . . لقد اتصلت بي ليلة أمس.

ـ أنت؟

الواضح أن هذا أدهشها . وقاوم أوليڤر لئلا يغضب لردة فعلها: «أجل . . أنا . . ويبدو أنني مفيد في بعض الأحيان».

كورت لاورا شفتيها: «تابع».

لم يجد طريقة لتبسيط الأمور، فقال أخيراً: «حسن جداً . . لقد تم اقتحام بينمادوك ليلة الأمس».

شحب وجه لاورا: «لا! أوه يا إلهي . . ماذا سرق منه؟».

ـ ليس لدي فكرة . . السيدة العجوز لم ترغب أن تناقش الأمور معي . . بل أرادت مني أن أبلغك الخبر . وأعتقد أنها عرفت أنك ستحزنين.

لكن أوليڤر راح يتساءل إن كان هذا دافعها الوحيد . . . فلاورا ليست زهرة هشة على أي حال . . صحيح أنها فقدت والدها لتوها . . لكن هل هذا سبب كافٍ كي تورطه الخالة نيل بالمسألة؟

هزت لاورا رأسها: «لا أستطيع التصديق . . لماذا قد يقوم أحدهم

باقتحام بينمادوك؟».

سألها أوليڤر بجفاء: «ولماذا يرغب أحدهم في اقتحام أي مكان؟ ربما أراد السارق، كائناً من كان، أن يرى ما هو معروض».

لكنه لم يكن يصدق هذا حقاً. فبينمادوك، بجدرانه المخيفة، ونوافذه الضيقة الطويلة، تخيف المتطفلين. أضف أن من يراقب المنزل، لا بد عرف أن هناك دائماً من يتواجد فيه ويا لها صدفة عجيبة أن تحدث «السرقة» في الأمسية ذاتها التي خرجت فيها أمه وإليانور تينباي.

ـ أولم تخبرك الخالة نيل أي شيء غير هذا؟

نظر إليها باكتئاب: «لا».

وأخذ نفساً عميقاً: «حسن جداً. . ماذا ستفعلين؟».

ـ أعتقد أن من الأفضل أن أتصل بها.

عبس أوليڤر: «وهل هذا أمر حكيم؟ ما ظننت أنك ترغبين في مناقشة أي شيء مع أمي».

بدت مرتبكة: «أمك؟ ظننتك قلت إن الخالة نيل هي التي اتصلت».

تنهد أوليڤر: «هذا صحيح. . لكن ما الذي يؤكد لك أن الخالة نيل هي التي ستجيب؟».

ـ إذن ماذا تعتقد أن علي أن أفعل؟

ـ أعتقد أن السيدة العجوز تتوقع منك الذهاب إلى هناك.

ـ وهل تعتقد هذا حقاً؟

واستغرقت لاورا لحظات في التفكير وقد بدا التوتر على محيّاها.

وتمتم: «أعتقد هذا. . حسن جداً. . إذا رغبت أن أقلك. . . فأعلميني».

ـ تقلني؟

بدت مرتابة. . ولام نفسه لتورطه مجدداً. . وقال: «أجل. . أعتقد أنني سأذهب لأرى كيف تلقت أمي الأمر. . هذا بين أشياء أخرى».

ـ أوه. . فهمت. . أنت ذاهب إلى هناك كذلك. . ربما سأغادر إلى

هناك بعدك مباشرة.

ـ وهل ستفعلين؟

وسمح لنفسه أن ينظر إليها. . وهو يكبت الغضب الذي أحس به للطريقة التي صرفت النظر فيها عن عرضه.

ـ وهل تعرفين متى سأسافر؟ هل قلت لك شيئاً؟

وازداد الاحمرار على خديها.

ـ لا. . لكن. . حسناً، أنا واثقة أن لديك أشياء أفضل تقوم بها بدلاً من انتظاري.

ردّ أوليڤر بحدّة: «ما تعنين قوله أنك تفضلين عدم مرافقتي. . . لماذا لا تقولين هذا بصراحة؟ ماذا دهاك لاورا؟ هل أنت خائفة أن تكوني معي؟ هل تخشين أن تخونك ثقتك بنفسك؟».

ففرت لاورا فاها وتمتمت بصوت مختنق: «يا لأوهامك! . . ».

وأشاحت بوجهها عنه. . .

وذكّرها: «لقد كنتِ هكذا».

وأدارها لتواجهه، لربما أحس بشيء من تأنيب الذات حين أجفلت لكنه لم يتركها.

ردت لاورا: «في كوابيسي ربما».

حركته المتهورة أوقعت المنشفة عن رأسها. . فانسدلت الخصل الحمراء حول كتفيها. . وشعر بأن شيئاً ما يشدّ على خناقه. . بدت خطيرة جداً، ضعيفة جداً، تشبه كثيراً الفتاة التي دخلت غرفة نومه منذ سنوات طويلة، وأحس بضيق مألوف في قلبه. لقد أرادها يومذاك وها هو يريدها الآن. . . لقد كان صغيراً جداً. . ومتعجرفاً ليدرك معنى هذه الأحاسيس التي تعتمل في قلبه. أما الآن. .

قال بصوت أجش: «لاورا. . ».

وكأنها أحست أن موضوع الحديث كله قد تغير، فمالت برأسها، وقالت: «لا».

وسمع الارتجاف في صوتها.

ـ لا تقل شيئاً آخر، لا أريد سماع شيء.. هل تسمع؟ لا أريد سماع شيء.

ـ ولِمَ لا؟

كان سؤالاً مجنوناً لكنه لم يستطع منع نفسه.. كان منكباً جداً على مراقبتها، على التحديق في عينيها اللتين بدتا سوداوين أكثر منهما رماديتين.

ـ أنت خائفة مني.. ولا داعي لهذا.

ـ لا داعي؟

كان في صوتها رنة استغراب، لكنه غضّ الطرف عنها، وقال بصوت أجش: «لا.. أنا أريد فقط أن نكون.. نكون..».

سألت مقطوعة الأنفاس: «صديقين؟».

قال بارتجاف: «أجل. ولم لا؟».

ولم يكن يعرف ما يقول.. يا الله! هذا صعب ومؤلم.. إنه يشعر بحاجة إليها لم يختبر مثلها من ذي قبل.

ـ أوه حبيبتي، أنت جميلة!

ـ وهل اكتفيت الآن؟

كانت كلماتها مريرة.. إنما بدت ملطّفة بارتجاف صوتها، ولم ينخدع أوليفر.. بل شعر بالسعادة لقربها منه.. وقال: «ليس تماماً.. ليس تماماً.. يا إلهي لاورا! لا يمكن لنا أن نترك الفرصة تفلت من يدنا مرة أخرى».

لكنه تردّد عندما رأى الاستغراب في عينيها المتسعتين... وأثار الفتور الظاهر فيهما اضطرابه، لكنه أقنع نفسه أنه يتخيل هذا.. ولكنها قالت بجفاء: «هل ستتغازل الآن؟».

وعلقت الكلمات في حلقه... وأخيراً قال: «لا.. بل سنحب بعضنا».

ـ الحب؟ أنت لا تعرف معنى هذه الكلمة.

وخمدت إثارة أوليڤر بالسرعة التي تصاعدت فيها.

ـ وما معنى..؟

قاطعته قائلة: «أمن أجل هذا جئت إلى هنا؟».

ثم سألته مجدداً: «هل تم اقتحام پينمادوك فعلاً، أم أنها ذريعة لكي تأتي إلى هنا؟».

ابتلع أوليڤر ريقه... هذه ليست لاورا التي يعرفها.. ونظر إليها وكأنه لا يصدق عينيه، وقال متمتماً: «لا تكوني سخيفة.. بالطبع حصل اقتحام.. وهل أكذب عليك في شيء كهذا؟».

ـ لست أدري.. وهل يمكن أن تفعل؟

صاح قائلاً: «لا.. لن أفعل، لا تكوني غبية».

تكلمت وكأنها تفكر: «لكن، هل هذا غباء؟».

وكره الطريقة التي كانت تزن فيها كلماته قبل أن ترد.

أخذت نفساً عميقاً: «هل كنت تكذب عليّ أوليڤر؟ منذ عدت، أعني؟ أريد أن أعرف.

قال بصوت أجش: «لا أريد هذا الحديث».

وتساءل بنفسه عما إذا أحس بمثل هذا السوء من قبل.. لا.. لا يعتقد هذا. ثم أجبر نفسه على النظر إليها وأضاف: «لقد بلغتك الرسالة.. وما تختارين أن تفعليه، هو قرارك، وليس قراري».

وقف بسرعة، متعمداً إبعاد عينيه عنها واتجه نحو الباب: «سأخرج من هنا».

ـ انتظر!

جمد مكانه، لكنه لم ينظر خلفه، بل بقي ينتظر ما تريد قوله.

سألت: «متى سترحل؟».

والتفت غير مصدّق من فوق كتفه: «وما شأنك؟».

هزت كتفيها، لكن ازدياد احمرار خديها أظهر أنها لم تعد منيعة من

أي مشاعر كما كان يبدو عليها: «لأنني.. أودّ قبول دعوتك... إذا كانت الدعوة قائمة.. وإذا لم ترغب في ذلك.. فسأفهم».

اشتدت قبضتا أوليڤر: «أوه.. حقاً ستفهمين؟».

وكان غاضباً لأنها لا تزال قادرة على تحريك مشاعره دون جهد ظاهر، لكنه حاول جاهداً ألاّ يظهر تأثره.

وسأل: «هل نقول بعد ساعة؟ ألتقيك عند باب الفندق في الساعة التاسعة».

ـ حسن جداً.

وأشاح نظره عنها لكي يتجنب السهام التي كانت ترميه بها. وصمتت قليلاً.. وبينما اتجه نحو الباب مجدداً، أضافت: «أنا آسفة إذا ظننت أنني عاملتك بطريقة سيئة.. أنا.. لا أحب أن يعاملني أحد بفظاظة».

***

١٠ ـ بين قسوة ولين

أوه.. يا الله.. لماذا قالت هذا؟

اتصلت بخدمة الغرف لتطلب عصير برتقال طازج وقهوة.. لماذا حاولت أن تعتذر منه؟ هو حتماً لا يستحق ذلك... وربما طلبت منه الخالة نيل أن يبلغها الخبر ويجب أن تتقبل هذا، لكنها تعرف أن خالتها لم تتوقع منه أن يذهب إلى فندقها في السابعة والنصف صباحاً..

وراحت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، منقبضة القلب، متوتّرة الأعصاب.

يا لجرأة الرجل! كيف يدّعي أنه «يحبها»، هل يظنها غبية؟ كان يجب أن تتركه يرحل.. وأن تثبت له، مرّة وإلى الأبد، أنها لا تحتاج إلى شيء منه، فلماذا لم تفعل؟

وتنهدت.. في الواقع هي لا تعرف لماذا طلبت منه أن يأخذها إلى بينمادوك. إلا إذا كان بسبب اهتمامها لأمره.. لكن هذا جنون، خاصة بعد الطريقة التي عاملها بها، لكن مهما قالت، ومهما فعلت، لن تعرف السعادة إلاّ مع أوليڤر.

وفكرت بمرارة، أنها لن تقول له هذا.

كانت تنتعل حذاءها حين وصل الفطور فشربت عصير البرتقال، وفنجانين من القهوة، ثم وضبت بضعة أغراض في حقيبة صغيرة... ستبقى ليومين فقط في بينمادوك لأن المهلة التي منحها إيّاها ماتيو نيل أوشكت أن تنتهي.

كانت في الطابق الأرضي تبلّغ الاستعلامات أنها ستغيب ليومين،

حين دخل أوليفر ردهة الفندق.. كان يرتدي سترة سوداء اللون تظهر جمال عينيه الخضراوين ولكنه لم يحلق ذقنه. ولِمَ يفعل ذلك؟ فهو لا يهتم لرأيها فيه.

سألها وهو يجتاز الردهة بخطوات رشيقة: «هل أنت جاهزة؟».

وأحسّت لاورا رغماً عنها، أن معدتها تنقبض وتتوتر للرحلة التي تنتظرهما.

ـ تقريباً.

استدارت لموظفة الاستعلامات وهي تقول: «تقريباً».

لكن الفتاة كانت تنظر إلى أوليفر بعينين دافئتين معجبتين.

قالت: «مرحباً مرة أخرى.. هل فاجأتها؟».

ثم نظرت بارتباك إلى لاورا: «أوه.. طبعاً.. لا بد أنك فاجأتها.. ولهذا ستتركنا السيدة نيل، كما أعتقد».

قال أوليفر: «قلت لها إنني أريد أن أفاجئك».

سألت العاملة لمجرد الحديث: «هل أنتما ذاهبان إلى مكان جميل».

لم تستطع لاورا تحمل المزيد فقد بدا لها أن الموظفة تخطت حدودها فقالت بفظاظة: «لا».

رأت جيب أوليفر متوقفاً في الخارج، من خلال الواجهة الزجاجية. وبينما كانت تتجه نحوه، سمعت أوليفر يشكر الفتاة لمساعدتها له. فصرّت على أسنانها سخطاً... وحين تبعها وحاول حمل الحقيبة عنها، رفضت بجفاء: «أستطيع تدبير أموري».

والتوت شفتاه باستسلام.

قال وهو يفتح الباب لها: «بالطبع تستطيعين.. لقد جعلت هذا أمراً واضحاً تماماً».

ردت بحدة: «وماذا كنت تتوقع؟ أعتقد أنك كنت تفضل لو أنني سهلة الإغواء... مثل تلك العاملة».

كشر أوليفر: «حسن جداً.. بما أنك ذكرت الأمر».

ـ أنت.. حيوان!

فتح لها باب السيارة لتصعد: «وما ذنبي إن كنت تغارين؟».

ـ أغار!

وفغرت فاها وهو يصفق الباب خلفها، وبعد أن استدار حول السيارة ليصعد إلى جانبها قالت بغضب: «أنا لا أغار! أنا.. أنا أحتقرك».

ـ أجل.. أعرف.

وأغلق بابه.. وعدّل المرآة الخلفية.. وأكمل: «أتمنى فقط أن أعرف لماذا».

استدارت لاورا تنظر إليه.. لكنه لم ينظر إليها.. بل كان يركز اهتمامه على السيارات.

ساد صمت بينهما للحظات طويلة وأخيراً قال أوليفر: «هل أنت بخير؟».

ـ ولماذا لا أكون؟

واستدار أوليفر إليها بنفاد صبر، وقال موافقاً: «ولماذا لا تكونين.. حقاً؟».

وعاد ينظر إلى الطريق: «أخبريني.. هل تتصرفين بفظاظة مع الجميع، أم أنني الوحيد الذي تنهالين عليه بلسانك السليط».

التقطت أنفاسها: «وماذا كنت تتوقع؟ أنت لا تعاملني باحترام».

ـ لا؟

ـ لا.

قطّب حاجبيه قائلاً: «إذن عمّ نتكلم هنا؟ عن الغلطة التي ارتكبتها عندما ظننت أنك تتجاوبين معي منذ ساعتين.. أما زلت تحقدين عليّ بسبب ما حدث منذ خمس عشر سنة؟».

ـ بل أربع عشرة سنة.

وعندما لاح عدم التصديق في عينيه، تمنّت لو أنها لم تصحح له.

ـ يا إلهي... لقد قلت إنك نسيت الأمر، وإنك سامحتني.. لكن

ماذا فعلت لكي تكرهيني هكذا؟».

أشاحت بوجهها عنه وأجابته باختصار: «لا شيء».

وظهر الغضب على أوليڤر: «لا تقولي لي هذا.. حدثيني.. لطالما أفضينا لبعضنا البعض بكل شيء».

ـ حين كنا صغاراً.. وهذا كان منذ زمن بعيد أوليڤر.

ـ ألا أعرف هذا؟ لقد قلت لك إنني آسف.. بحق الله.. أنا آسف..

صمت.. ثم أضاف: «لاورا.. لا يمكنك لومي لأني احببتك. لو لم أكن أنا.. لكان هناك شخص آخر».

رفعت حاجباً متكبراً: «شخص آخر؟ ماذا تعني؟».

ـ لا تدعيني أقول كل شيء.. تعرفين بالضبط ماذا أعني.. أنا لم أكن الشاب الوحيد الذي عجز عن نزع نظره عنك... فقد كنت جميلة، ناضجة كالثمرة التي تنتظر القطاف.

ـ أيها النذل!

لكمته لاورا في خاصرته فكادت أنفاسه تخرج منه... وفقد السيطرة على سيارته لبضع ثوانٍ، إلى أن تمكن أخيراً من التمسك بالمقود. وحين استعاد أنفاسه، أخذ يشتم بغضب ويقول بصوت مختنق: «أيتها المجنونة!».

ثم استخدم إشارة السيارة ليشير للسيارات وراءه أنه يريد الخروج من الطريق ولما استطاع ذلك وجّه السيارة إلى محطة خدمات ووجد مكاناً يتوقف فيه.

شعرت لاورا بالندم لمهاجمته، وعرفت أن له كل الحق أن يغضب إذ عرضت حياتهما للخطر.. لكن الخجل والعناد أبقياها صامتة.. واستدار أوليڤر في مقعده لينظر إليها مبتسماً، بعينين متهمتين.

سأل وهو يدلك خصره بيده: «ولماذا فعلت هذا؟ ألا يمكنك الحديث دون اللجوء إلى العنف؟».

ـ ليس معك.. لا.

نفث أوليڤر أنفاسه ساخطاً: «ولمَ لا؟».

ـ لا أريد التحدث بالأمر.

ـ حسن جداً.. أنا أريد.. إما أن تقولي لي لماذا فعلت هذا، وإمّا أن تجدي طريقك بنفسك إلى پينمادوك.

انفرجت شفتا لاورا: «لن تفعل هذا!».

ـ جربيني.. هيا.. وستعرفين بنفسك.

رفعت لاورا رأسها: «لا يمكنك تهديدي».

تأوه أوليڤر: «أنا لا أهدّدك.. حسن جداً.. أنا أهدّدك.. لكن ليس كما تعنين.. أريد بعض الأجوبة لاورا، ولسوف تعطينني إياها».

تصلبت ملامحها: «لا أعرف عمّ تتكلم».

ـ بلى، تعرفين.. أنا أتكلم عنك، عني، عنا معاً، أريد أن أعرف ماذا حدث لتتحول من.. صديقين إلى عدوين.

وتنهد: «لقد ظننت أن لهذا كله علاقة بأمي.. ماذا قالت لك لتحرضك ضدي؟ لقد أقسمت لي أنك ستفهمين، وأنك مستعدة لنسيان ما حدث... وليس من أجلك فقط، بل من أجل والدك».

التوت شفتا لاورا: «وكم كان هذا ملائماً لك».

أطبقت قبضة أوليڤر على المقود: «وماذا يفترض بهذا أن يعني؟ أليس هذا صحيحاً؟ وهل تقولين إنك لمتني على ما حدث؟».

أحنت لاورا رأسها: «ليس بالضبط».

هذا الحديث بدأ يزداد عمقاً، ولا تريد أن تستمر به.

ـ اسمع.. فلنقل فقط إنني وأمك لم نكن على وفاق.

هز رأسه: «إذن لقد لمتني؟ أتمنى لو كتبت وقلت لي».

ـ أقول لك ماذا؟

ـ كيف كانت مشاعرك بالطبع، ربما كنت متعجرفاً في تلك الأيام.. لكنني ما كنت لأجرح مشاعرك. يا إلهي! بالتأكيد تعرفين هذا؟

التفتت لاورا إليه ثم أبعدت نظرها عنه: «وماذا كنت ستفعل؟ تعود

إلى الوطن؟».

ـ ربما. . إذا أردتني أن أعود.

ـ أوه. . حقاً. .

تأوه: «هذا صحيح. . وأعتقد أنني كنت سأفعل أي شيء من أجلك يومها. . لقد كنت مجنوناً بحبك. . وكنت تعرفين هذا».

ـ وهل كنت أعرف حقاً؟

عبس أوليفر: «كان يجب أن تعرفي. لكن، لاورا. . كنت أعرف أنك صغيرة جداً. . وحين اقترحت أمي أن أمنحك فرصة لتكبري قليلاً، أنا. . أنا. . صدّقتها».

أخذت لاورا نفساً مرتجفاً: «وهل من المفترض أن أصدق هذا؟».

ضرب أوليفر المقود بقبضته. . . وقال: «حسن جداً. . أعتقد أنني أردت أن أصدقها. وهذا صحيح. . عرفت أننا لا نستطيع الاستمرار بعلاقتنا هكذا. . حسناً، وكلانا يعرف إلى أين سيقودنا هذا».

ـ حقاً؟

ـ توقفي عن الادعاء بأنك لا تعرفين عمّا أتكلم. .

وتنهّد: «ماذا لو اضطررنا إلى الزواج. . وتركت مدرستك. . ماذا؟ ماذا؟».

رأى عدم التصديق في عينيها، فأكمل: «كان يمكن لهذا أن يحدث لاورا. لا تنظري إلي هكذا. . لقد حالفنا الحظ لأن أمي أنقذتنا من ارتكاب غلطة فادحة. . تصوري ما كان والدك ليشعر لو اكتشف أمرنا».

زفرت لاورا أنفاساً مضطربة وقالت بمرارة: «تصور. . لقد حالفنا الحظ. . أليس كذلك؟».

تابع أوليفر بلهفة: «هذا ما قلته».

لكن، ومع أنها لم تقل شيئاً يعارضه. . أحس بتحفظها، وقال محتجاً: «هاي. . هل تستمعين إلى ما أقول لاورا؟».

ـ طبعاً.

لكن لاورا لم تنظر إليه، واضطر إلى متابعة الحديث: «أعتقد أن هذا يعني أنك لم تسعدي لسفري مثل أمي. . أعتقد أنني عرفت هذا».

ـ وهل عرفت حقاً؟ لقد أخفيت الأمر جيّداً.

ـ أجل. . جيّداً. .

مرّر يده المتوترة في شعره، ثم قال: «تمنيت لو أنني على خطأ، لكنني لم أكن كذلك. . . أعني لقد تجاهلتني تماماً حين عدت إلى الوطن. . ثم سافرت وتزوجت ذلك. . الغبي. . نيل».

ثم تابع وهو يصرّ على أسنانه: «يا إلهي! ليس لديك فكرة كم كرهت ذلك النذل المتكبر».

تصلّبت ملامح لاورا: «لم يكن كونور نذلاً متكبراً».

ـ حقاً؟ لقد بدا لي هكذا. أضف أنني انزعجت منك كذلك لأنك لم تتكلمي معي. عرفت أنك ترتكبين خطأ فادحاً بزواجك به. . أردت أن أقول لك. . أردت فرصة لأصلح ذات البين، لكنك أوقفتني عند حدي، كنت منزعجاً من نفسي لاورا. وكنت سأخبرك بهذا لو سمحت لي. . وحين فقدتك. . فقدت أغلى ما في حياتي.

نظرت إليه بعينين لامعتين: «أوه. . أرجوك. . ».

لكنه قاطعها قائلاً: «أعني ما أقول. . أتعرفين. . أحياناً أتمنى لو عرف والدك، أجل. . إنها فكرة مجنونة وأنانية؟ لكننا كنا سنبقى معاً. . ولقد اشتقت إليك كثيراً».

وكادت تعجز عن الإجابة عليه: «لا تقل هذا».

وأدركت أنها ستنهار لو سمعت المزيد، فأشاحت بوجهها عنه وقالت: «أعتقد أن من الأفضل أن نتابع سيرنا».

كان أوليفر ينظر إلى وجهها: «ليس بعد».

وأدركت بعد أن تنفس بعمق أنه اكتشف الدمع الذي لم تتح لها الفرصة لتمسحه. . وقال بصوت عميق قلق: «أنت تبكين. . لا تبكي. . حبيبة قلبي. . كان هذا في الماضي. . والماضي انتهى. . الآن، يمكننا أن

تبدأ من جديد».

جفّت دموعها مرة أخرى، ودفعت يده عنها: «وهل نستطيع؟ أخشى أنني لا أريد ذلك».

ـ أعتقد أنك تؤمنين بهذا أكثر مما أؤمن به. فلو أننا لا نكترث لبعضنا بعضاً، لما أجرينا هذا الحديث..

أدار وجهها نحوه: «قولي لي إنني مخطىء».

ردّت بشراسة: «أنت مخطىء.. لقد قالت لي الخالة نيل إن صديقتك في رحلة عمل حالياً.. لذا، أعتقد، أنك تشعر بالحرمان.. لكنني لن أدعك تستغلني كبديل عنها».

نظر أوليفر إليها مطولاً: «هل هذا ما تظنين أنني أفعله؟ هل تصدقين حقاً أن هذا كله بسبب شوقي إلى امرأة؟».

ارتجفت لاورا: «وهل تستطيع الإنكار؟».

ـ أجل أنكر كل هذا.. لقد عادت ناتالي وقد أحضرتها من المطار ليلة أمس.. ولو أنني يائس كما تقولين لكان عندي.. ماذا؟ أكثر من اثنتي عشرة ساعة لأفعل ما أريد؟».

بللت شفتيها: «إذا كنت تقول هذا».

ـ بل أقول هذا.

واستدار بغضب إلى المقود: «لست أدري لماذا أزعج نفسي وأبرّر نفسي أمامك.. فأنت لن تصدّقيني أبداً.. ولم تصدّقيني يوماً».

ـ هذا غير صحيح.

خرجت الكلمات بحدّة منها وجمدت أصابعه على المفاتيح.

ـ أجل.. حقاً.

ـ أعني ما أقول..

وأحست بحاجة لأن تبرر نفسها ولو على مضض.

ـ لسنوات.. صدقت كل ما كنت تقوله.

ورمقها بنظرة متسائلة: «إذن لماذا لا تصدّقينني الآن؟».

أطلقت نفساً: «لأن...».

ـ لأن ماذا؟ لأنني منذ أربع عشرة سنة كدت أفعل شيئاً كان ليقوم به أي إنسان يسري الدم في عروقه؟.

ـ أعرف هذا.

ـ إذن؟

أحنت لاورا رأسها: «أنت لا تفهم».

قال بصوت حادّ: «لا.. أنا لا أفهم.. فلماذا لا تشرحين لي الأمر؟».

ـ لا أستطيع.

ـ ولمَ لا؟

ـ لا أستطيع.. هذا هو السبب... أنا آسفة.

ـ أنت آسفة؟

كانت عيناه معذبتين، وقبل أن تتوقع ماذا سيفعل، استدار نحوها، وتمتم: «كم أرغب في أن أجعلك تأسفين! لم لا تكونين صادقة وتعترفين بالحقيقة؟».

ولم تتمكن من التحكم بردّة فعلها، وأحست بنيران مشاعرها تستعر لتلتهم في طريقها كل شيء: «الحقيقة؟ وتجرؤ على التحدث عن الحقيقة؟ وهل قلت الحقيقة أنت حين تركتني وراءك دون كلمة؟».

ـ يا إلهي.. لاورا، أنت حاقدة علي. لا تكوني بهذه القسوة. هل تظنين أنني كنت مسروراً لأني تركتك حينها؟

كان ينظر إليها بصدق وكأن عيناه تودّان لو تغمرانها بحنان لجعلها تنسى ألم الماضي.

شعرت لاورا بكيانها كله يذوب تحت تأثير نظراته حتى بات التنفس بالنسبة إليها أقل أهمية من هذه المشاعر الجيّاشة وانتشر في قلبها وروحها دفئه وغمرتها رائحة عطره المميزة.

اعتقدت أن باستطاعتها التحكم بمشاعرها عندما يتعلق الأمر به،

لكنها أدركت أنها مخطئة فقد تلاشت قواها أمام سحره، وضعفت مقاومتها.

بقيا صامتين لفترة، كأنهما عاجزان عن الكلام، أو ربما كان الخوف من ان يتفوها بأكثر مما يريدان هو الذي أسكتهما. إلى أن تكلمت لاورا أخيراً، بعد أن بدأ الجو يتغير وكأنه ينذر بعاصفة: «اسمع أوليڤر، أظن أنه لا جدوى من الحديث الآن. فعلينا متابعة السير قبل هبوب العاصفة. فيبدو أن الطقس ينذر بالسوء».

ود أوليڤر لو أنهما لا يتحركان من مكانهما، إلى أن يصفيا الأجواء بينهما ويتحدثا بصراحة ليكتشفا مشاعرهما الحقيقية، لكن رداءة الطقس منعته من ذلك وعلم أن لاورا على حق. فعليهما متابعة المسير.

أخذ يشتم من بين أسنانه واضطر إلى تقبّل الهزيمة فكان أن عادا كلاهما إلى العالم الدائر حولهما. قال أوليڤر بأسارير قاتمة: «سنكمل هذا فيما بعد».

لكن لاورا بدأت تندم على تهوّرها.

ردّت: «نكمل ماذا؟».

حذّرها بحدّة: «لا تكملي هذا».

وأقنعت نفسها أن الخوف المترقب هو الذي تسبب بهذا الاضطراب في معدتها.

* * *

١١ ـ نعمة النسيان

توقف أوليڤر مرة أخرى، وقت الغداء، وحاول تناول سندويش لكن معدته رفضت الطعام، فذهب ليحضر زجاجة مياه غازية. شربها وهو ينظر باكتئاب إلى السيارات التي تمر على الطريق أمامهما. لقد أقسم ألاّ يعيد فتح الجدال مع لاورا، واكتفى بالتعليق عن الطقس.. وعن الطعام.

وأجابته لاورا بكلمات مختصرة، لكنها قالت على الأقل شيئاً..

فارتاح قليلاً لأنه خشي أن تعود إلى مزاجها السابق في المعارضة الكاملة والتجاهل المطلق.

كان الليل قد أسدل ستاره حين قطعا منطقة «سفن بربدج»، وانقضت ساعات مملة كئيبة، لتحلّ مكانها أخرى أكثر كآبة.. أمّا المطر الذي كان يهطل، فقد ازداد غزارة. لحسن الحظ، لم يواجها زحمة سير كثيفة في «بورت تاليوت»، لكنها أخرتهما في «روزماور»، فوصلا إلى القرية عند السابعة تقريباً.

وأدرك أوليڤر أن لاورا، مثله تماماً، تشغلها أفكارها. فاحتمال أن يكون السارق... أو السارقون، قد خربوا المكان لا تروقهما إطلاقاً..

اضطر أوليڤر لركن سيارته خلف أخرى تسدُّ الطريق المؤدي إلى المنزل.. لم تكن سيارة مألوفة، لكن هذا لا يعني شيئاً، فهو لم يقضِ ما يكفي من الوقت في پينمادوك ليتعرف على سيارة أحد.. لكنه تساءل عمّا إذا أصيبت أمه بانهيار آخر، والطبيب يزورها الآن.

ـ لدى أمك زوار.

هز كتفيه: «العلهم زوار لخالتك».

وأحس بعينيها تنظران إليه بغضب لوقت قصير، وقالت وهي تستعد للترجل من الجيب: «أوه صحيح.. خالتي نيل تشتهي حفلات السهر دائماً».

رد أوليفر، وقد انزعج بالرغم عنه: «سيارة واحدة لا تشكل حفلة».

لم يرغب في تعزيز شكوكه، وقد ازداد اضطرابه... ثم أمسك بحقيبة لاورا التي وضعتها في المؤخرة، وفتح بابه: «انتظري هنا.. سأحضر مظلة من المنزل».

ردت لاورا: «لست مصنوعة من السكر لأذوب.. ولن أذوب».

تمتم بجفاء: «أوليست هذه هي الحقيقة».

لكن بالرغم من كلامه الذي لا يكاد يسمع، أدرك من الطريقة التي نظرت فيها إليه أنها سمعت ما قال.

يبدو أن المطر ينهمر منذ ساعات لأن الأرض كانت موحلة، وتطلب عبورها بعض الجهد ليحافظ المرء على توازنه. وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتي أوليفر، حين تمسكت لاورا بمعطفه لكي لا تقع، لكنه لم يقل شيئاً.. ولا هي قالت شيئاً. وسارا متثاقلين إلى الباب الخلفي كي لا ينشرا الوحل في البيت كله.. لم يكن الباب الخارجي مقفلاً هذه المرة، وتوقف كلاهما في الممر ليخلعا حذاءيهما. وكان هذا أمر أسهل لأوليفر، الذي خلعه دون جهد، بينما اضطرت لاورا للجلوس على أحد المقاعد الخشبية لتفك رباط حذائها.

قال: «اسمحي لي».

وأبعد يديها الباردتين جانباً، وبالرغم من أنها فضّلت أن تفعل هذا بنفسها، إلا أنها لم تجادل.

كان أوليفر يتوقع أن تكون الخالة نيل في انتظارهما.. لكن حين دخلا المطبخ، وجداه فارغاً. حتى النار في الموقد أوشكت أن تنطفىء، فما كان من أوليفر إلاّ أن وضع فيها بعض الحطب.

قالت لاورا، وهي تفكر بالطريقة نفسها التي كان يفكر بها: «ليس من عادة الخالة نيل أن تنسى هذا».

- ربما هي مريضة.. لعل الصّدمة كدرتها وهي الآن في الفراش.

رفعت لاورا حاجبيها غير مصدّقة: «وتترك الباب الخلفي مفتوحاً؟ لا أعتقد هذا».

- إذن.. ماذا تظنين؟

هزّت رأسها: «لا أظن شيئاً».

- جيّد.. ولا أنا.

أشار نحو باب الردهة: «فلنجد أمي».

قالت لاورا بحدة: «إذا كانت هنا».

نظر أوليفر إليها باستسلام: «إنها هنا».

بطريقة ما عرف أنها هنا، لكن لماذا كان واثقاً، لا يعرف.. ولا يودّ التفكير بالموضوع.

الردهة أيضاً بدت مهجورة... وتوتر أوليفر وقست ملامحه.. أين هما بحق الله؟ ولمَ لا ينادي أمه فتقول له اين هي؟

لم يكن هناك أحد في غرفة الطعام، ولا في غرفة الجلوس.. أو في المكتبة.. لكن النور مضاء في المكتب الخاص، وتقدم أوليفر إليه بترقب.. حتى الآن لم يشاهد أي دليل على الاقتحام، وأنبأه إحساسه أنه سرعان ما يعرف السبب.. وكانت لاورا خلفه وهو يدفع الباب، وأحس أنها مرتبكة كذلك، لكن مرة أخرى كانت الغرفة فارغة.

اللوحة التي تغطي باب الخزنة كانت في مكانها وتمتم أوليفر متراجعاً إلى الردهة: «تباً!».

ونظر إلى السلم: «هل الجميع نائم؟».

سألته لاورا: «هل أنت واثق أن الخالة نيل هي التي اتصلت؟ لا أرى أن شيئاً تعرّض..».

التوت شفتا أوليفر، وأكمل لها: «للاقتحام؟ أجل.. أعرف هذا.

لكنها هي من اتصل.. ولقد تحدثت إليها هذا الصباح، وأكدت لي الخبر».

رفعت لاورا كتفيها: «إذن.. ماذا يجب أن نفعل؟».

قال بصراحة: «نجد أمي».

ودون تردّد بدأ يصعد السلم. ولحقت لاورا به، وأحس بوجودها خلفه حتى دون أن ينظر.. أراد أن يقول لها أن تبقى في الطابق الأرضي فهو لا يعرف ما الذي سيكشفه، وعلى الأرجح لن يكون جيداً.

لكن، قبل أن يصلا أعلى السلم، سمعا أصواتاً.. صوت رجل أولاً، ثم صوت ستيلا.

قال الرجل بإصرار: «قلت لك إنني سمعت شيئاً».

وتوقف أوليفر مسمراً.

ـ أنت تتخيل الأمور جاز.

وبدا صوت ستيلا ناعساً، وتوقف قلب أوليفر عن الخفقان.

قال الرجل مؤكداً: «لا أعتقد هذا.. لقد سمعت أصواتاً».

بدا صوته أكثر وضوحاً وعرف أوليفر أنه خرج من الغرفة.. وأكمل:

ـ بعدما حصل مع غريف، لا نريد المخاطرة بأن يضبطنا أحد مرة أخرى ستيل.. قد تكون تلك المرأة العجوز.. وربما أنت مع أحدهم.

لم ينظر أوليفر إلى لاورا.. لكنه عرف إحساسها بالضبط.. وتأوه في نفسه لموت آماله وتوقعاته.. في طريقهما إلى هنا، عرف أنها لا تزال تهتم لأمره... لكن بعد هذا.. أغمض عينيه لحظة بيأس كامل.. لن تصغي إليه بعد الآن.

ـ نيل في كارديف.. أقول لك.

الواضح أن ستيلا جاءت لتنضم إلى الرجل وسمع أوليفر وقع أقدامهما في الممر.

مرت لحظة فكر فيها أن ينزل السلم قبل أن يصلا ويكتشفا وجودهما. لكنه، لم يستطع أن يفعل.. وأصبح واثقاً أن نيل جاءت بهما إلى هنا لهذا

السبب.

سأل بصوت خافت: «هلاّ تركت الأمر لي؟».

لكن لاورا كانت تنظر شاحبة الوجه إلى الردهة، ولم يكن واثقاً أنها سمعته.

ـ لاورا.

وشعر بالجهد الذي بذلته لتدير رأسها نحوه وتنظر إليه.. تنفست عبر شفتين جافتين: «أبي».

وأشارت بإصبع مرتجف نحو مكتب والدها.

ـ لقد رأيت أبي.. كان هناك.

وابتلعت ريقها: «عند الباب.. هل تظن أنه هو من أضاء النور؟».

اقشعر جسد أوليفر، وبالرغم من أن عقله السليم قال له إنه لا يمكن أن ترى والدها، إلا أن شيئاً سرق اللون من وجهها.

قال بعجز: «أنا.. لاورا..».

ثم أطلقت أمه صرخة رعب.

وكان الصوت الحاد كافياً لإبعاد أي دخيل، سواء أكان شبحاً أم لا.

ورأى أن لاورا كذلك أذهلتها الصيحة.

وتكلم الرجل أولاً: «يا الله!».

ولم يجد أوليفر شيئاً في قلبه يدفعه إلى الأسف.. فمواجهة ابن.. من؟ عشيقته؟ وهي تولول إلى جانبه، لإذلال له: «كنت أعرف أنني سمعت شيئاً.. أوه. اللعنة ستيل.. توقفي عن مواء القطط هذا.. لأجل الله».

قالت تتأتىء: «لاورا.. لاورا قالت.. إنها رأت غريف عند.. باب المكتب.. أوه.. يا إلهي جاز. أتظنه كان هناك؟».

نظر جاز إليها بعينين تقدحان شرّاً: «بالطبع لا. إنها مضطربة، وهذا كل شيء.. ومن يلومها.. قلت لك إن الوقت مبكر جداً كي.. كي..».

قاطعه أوليفر بجفاء: «كي ماذا؟ كي تتابعا علاقتكما؟ يا إلهي أمي..

أنت تقرفينني! وأنا الذي صدقتك».
مطّت ستيلا شفتيها: «ماذا تفعلان هنا على أي حال؟».
ونزلت السلم نحوهما: «لا تغضب أوليڤر.. لطالما احتجت إلى الحب.. وتعرف هذا».
ردّ أوليڤر ساخراً: «الحب؟ هذا ليس حباً!».
واستعادت أمه السيطرة على نفسها: «أوه.. وأنت تعرف طبعاً.. أنك لست طاهراً».
ـ لقد قرفت لأنك أقدمت على هذا تحت أنف غريف، كما هو واضح.. لقد سمعت ما قاله عشيقك الآن.. كنتما هنا عندما عاد غريف من الصيد.. ولا بد أنه شاهدكما معاً.. هل هذا هو سبب إصابته بنوبة قلبية؟
ارتاعت ستيلا: «لا..! لا..! لم يكن الأمر هكذا!».
تدخلت لاورا: «كيف إذن؟».
وطرفت عينا ستيلا بسرعة قبل أن تتركزا على ابنة زوجها وأكملت لاورا، تشير إلى الرجل: «لقد اتصلت به.. ليلة ادعيت أنك عاجزة عن حضور جنازة أبي».
أجفلت ستيلا: «وكيف عرفت هذا؟».
قال أوليڤر بصراحة: «لقد سمعتك.. أكملي.. أريد أن أعرف ماذا حصل يوم وفاة غريف».
هزت ستيلا رأسها.. وبدت الحيرة على محياها بسبب ما سمعته لاورا، لكن تعبير وجه ابنها أجبرها على إكمال الحديث ونظرت إلى رفيقها: «أنا.. لست واثقة تماماً مما حدث».
أحس أوليڤر أنه بدأ يفقد السيطرة على نفسه.
ـ أوه.. هيا.. لن تدّعي أن غريف لم يرك؟
تمتمت: «لست أدري ما رأى».
قالت لاورا مرتجفة: «لكنه رآكما بلا ريب».

وبدا أن جاز يشفق عليها، فقال معترفاً على مضض: «لقد سمعت شيئاً.. وقلت لستيل إن علينا أن نتأكد.. لكنها قالت إنني أتخيل فقط».
وهز كتفيه: «كانت مخطئة».
قالت ستيلا: «كنا مخطئين».
الواضح أنها لم تكن على استعداد لتحمّل اللوم وحدها.. واستدارت إلى ابنها.
ـ لقد حاولت أن أقول لك قبل الجنازة.. أنا أحتاج إلى.. الحب.
قالت لاورا مرتعشة: «لا تتظاهري أن والدي لم يحبك، لأنه كان يحبك.. ليت عيناه لم تقعا عليك قطّ».
غضبت ستيلا وأشارت بإصبع مرتجف إلى لاورا.
ـ هذا يكفي! ولا تجرؤي على الكلام معي بهذه الطريقة المتكبرة.. لأنها لن تنجح معي أيتها الشابة.. أنا أعرف الكثير عنك.. ولطالما عرفت.. ولهذا اغتنمت كل فرصة لتثيري الأقاويل عني لوالدك.. لقد حرّضت غريف ضدي..
ارتجف صوت لاورا: «هذا غير صحيح!».
لكن ستيلا لم تهتم: «كيف تعتقدين أن والدك العزيز كان سيشعر لو عرف ما أنت حقاً؟ كان يظن أنك فتاة طيبة».
ـ بحق الله أمي..
قاطعت ستيلا ابنها وصاحت قائلة: «لا.. ولماذا لا أدافع عن نفسي؟ كانت تتوق لتقول لي رأيها بي».
توسل إليها جاز: «حبا بالله ستيلا..».
لكنها تجاهلته: «لقد انتظرت طويلاً لأقول هذا أوليڤر.. ولن أفوت هذه الفرصة».
ـ هذا كله لن يغير شيئاً أمي..
ـ لن يغيّر شيئاً؟ لن يغيّر شيئاً؟
ورفعت رأسها: «أنت لا تعرف الحقيقة.. أنت لا تعرف لماذا دخلت

غرفتك.. وماذا كانت تخطط».

صاح أوليڤر بمرارة: «تخطط؟ لأجل الله أمي.. توقفي إن كان لديك ذرة كرامة».

ابتلعت ستيلا ريقها بتشنج: «أنت لا تفهم؟».

وضغطت يداً مرتجفة إلى صدره: «تظنني أختلق هذه الأشياء لأدافع عن نفسي.. لكن هذا غير صحيح.. كانت تريدك أوليڤر.. وكانت مستعدة لأي شيء لتحصل عليك».

ـ لا..

صيحة لاورا مضت دون أن يلاحظها أحد، لكن أوليڤر سمعها، ووضع يده على كتفي أمه وقال بصراحة: «فلندع لاورا خارج هذا.. هل من الممكن؟ أعرف أنك لم تحبيها يوماً..».

ونظر إلى وجه لاورا الشاحب: «لقد مر أربع عشرة سنة منذ تلك الليلة.. ولقد نسيناها..».

استدارت ستيلا لتشير إلى ابنة زوجها مرة أخرى، تقاطع ابنها: «لكنها لم تنسَ.. لا تزال تكرهني.. ولطالما كرهتني».

تأوه أوليڤر: «لن تنقذي بجلدك أمي..».

وأخذ نفساً عميقاً: «والآن.. أظن أننا عرفنا أن غريف شاهد أو سمع شيئاً حين عاد بعد ظهر ذلك اليوم..».

هز جاز رأسه: «هذا صحيح.. أصيبت ستيل بالذعر حين وجدت الجثة.. لكن الأوان كان قد فات ولم يعد بإمكاننا فعل أي شيء».

قال أوليڤر بمرارة: «ما عدا إخفاء الحقيقة.. يا إلهي.. أمي.. كيف سيسمح لك ضميرك بالعيش بسلام؟

ردت أمه: «لا تعظني.. أنا على الأقل لم أحاول التمسك بأي رجل كان».

ساد صمت كامل بعد هذا الكلام.. حتى المنزل بدا ساكناً، ولم يحاول أحد انتهاك حرمة ذلك الصمت.. ولم يتحرك أوليڤر.. لم يستطع

أن يتحرك.. فالحقيقة التي أفلتت من أمه صدمته وسمرته مكانه.

ثم، خرقت لاورا صمت الأموات.. بصوت ملؤه العذاب فاستدارت ونزلت السلم مهرولة.. وبينما كان أوليڤر يراقبها تبتعد، أدرك أموراً كثيرة... يا الله.. لقد دفعها اليأس للزواج بسواه... ولم يعرف هو بهذا أبداً.

ففي خضم الدفاع عن نفسها قالت ستيلا لابنها شيئاً ليس من صالحها أن تقوله.

مدت يدها إلى ذراعه: «أوه أوليڤر.. أنا آسفة جداً، ما كان يجب أن تسمع بهذا.. لا سيمّا مني».

أبعدها أوليڤر عنه منتفضاً.. وتسمّرت عيناه على السلم الذي نزلته لاورا لكي تختفي عن أنظاره.

ـ ماذا؟

ـ لطالما خطّطت للزواج بك... كانت طريقتها لتنتقم مني.. منا معاً.. لأنني تزوجت والدها.. والحمد لله أنها لم تنجح.. وإلا دمرت حياتك، حياتنا كلنا.

نظر أوليڤر إليها غير مصدّق: «أنت مجنونة! وماذا تعنين بقولك إنها لم تنجح؟».

ولم يعد يدري ما هو الأسوأ في هذه اللحظات.

قالت أمه متوترة: «صدقاً أوليڤر.. فكرت..».

ـ هذه مشكلتك.. أنت لا تفكرين.. ولم تفكري يوماً.

نادت لاورا من أسفل السلم: «الخزنة مفتوحة».

ووضعت بهذا حداً للجدال.. وبدأت ستيلا تحتج.

صاحت: «وكيف لها أن تعرف؟».

لكن أوليڤر لم يكن يصغي لها.

ـ أنا قادم.

وأسرع ينزل السلم إلى حيث تنتظره لاورا.

- وربما تعرض المنزل للسرقة على أي حال.

- سرقة؟

وأسرعت أمه وراءهما. قال لأمه بعد وصوله إلى لاورا: «الاقتحام.. لقد اتصلت الخالة نيل بي ليلة أمس، وقالت إن أحداً حاول اقتحام المنزل».

التمعت عينا ستيلا، وصاحت: «لم يحدث اقتحام!».

لكنها اضطرت رغماً عنها أن تتبع ابنها وابنة زوجها إلى المكتب، ونظرت متمرِّدة إلى الخزنة المفتوحة التي وجدتها لاورا حين أزاحت اللوحة.. وقالت عابسة: «إذا قالت نيل إن المنزل تعرض للاقتحام فلا شك أنها كانت تحاول خلق المتاعب لأنني أنا التي فتحت الخزنة».

اشتد ضغط أوليڤر على شفتيه: «أنت فتحتها؟ كيف؟ ليس معك مفتاح..».

احمرّ وجه ستيلا: «بل كان لدي نسخة من المفتاح قبل موت غريف.. وهذه ليست خزنة الدولة... بمقدور طفل صغير أن يفتحها».

نظر أوليڤر إلى لاورا.. ولم يكن عندها فكرة عما يفكر فيه.. وعرف أن الوقت أزف وأن عليه أن يكشف الأوراق.. وسأل: «حسن جداً.. ماذا وجدت؟».

وكان يعرف جيداً أن أمه تعرف تماماً عمّا يتكلم.. وتقدم إلى الخزنة، يسحب الأوراق والوثائق التي وجدتها هناك، وهي عبارة عن بعض الإيصالات المصرفية، ليس إلاّ.

وصمت قليلاً ثم سحب مغلفاً من جيبه: «عجباً.. هل كنت تبحثين عن هذا؟».

إنها الوصية، وبدا الذعر جلياً على وجه ستيلا.

- عرفت أنها معك حين لم أجدها هنا.. لكن لا يمكن.. لا يمكنك..

وكادت ستيلا تخرج عن طورها.. لكن لاورا بدت مذهولة وقالت دون فهم: «وصية؟ هل احتفظ والدي بنسخة عن وصيته في الخزنة؟».

قال لها أوليڤر متثاقلاً: «ليست الوصية التي أودعها عند ماركوس ڤينتغ.. إنها وصيته الجديدة.. وقد حرّرها مؤخراً.. ووجدتها أمي قبل الجنازة.. أرأيت؟».

رمشت لاورا بعينيها: «إذن لماذا لم..؟».

- لقد افترضت أنها الوصية ذاتها التي شهد عليها ماركوس.. لكن ما إن قرأت الوصية الأصلية حتى أدركت غلطتها. وفي ذلك الوقت لم تكن قادرة على الاعتراف أنها وجدت هذه، خاصة وأن الوصية القديمة تخدم مصالحها أكثر من هذه.

ترددت لاورا، وسألت بضعف: «وهل شروط الوصية الجديدة مختلفة؟».

قال بلطف: «إنها مختلفة، فقد ترك لك پينمادوك بالكامل، أما أمي...».

ورمق ستيلا بنظرة غضب: «لقد اعتنى جيداً بها.. لكنه أرادك أنت أن تحصلي على المنزل.. على ما يبدو».

- وكانت الوصية معك طوال الوقت؟

كانت لاورا تحاول فهم شيء مما قال. وأحس أوليڤر بمعنوياته تنخفض، وقال متجاهلاً وجه ستيلا العابس: «أجل.. منذ عودتي إلى لندن.. وأخذت مفتاح الخزنة أيضاً، لكنني لم أعرف أن بحوزة أمي نسخة عنه».

وبدأ الغضب يجتاح ستيلا: «ليس من حقك أن تأخذ الوصية».

لكن، هذه المرة اختار جاز الذي كان يقف قرب الباب أن يتدخل.

قال: «دعي الأمر ستيلا.. لاورا تعرف بأمر الوصية الآن، ولا فائدة من التفكير فيها.. قلت لك إن أوليڤر لن يقف في صفك، لكنك لم تصغي إلي..».

ردّت ستيلا بصوت متحشرج، تملأه الدموع: «حسن جداً.. لن أسامحه أبداً على هذا».

لكن أوليڤر أحسّ أنها دموع الغضب، وليس دموع خيبة الأمل. فهو لن يسامح نفسه أبداً. ولكن لسبب مختلف تماماً. فبإصغائه إلى أمه دمر فرصة أن تثق لاورا به بعد الآن.

أخذت لاورا ترتجف: «لا أصدّق كل هذا.. إذن لهذا السبب لم ترغب ستيلا في حضور جنازة أبي... ولهذا السبب أخّرت تلاوة الوصية؟ فهل ظنت أنني سأطردها من المنزل؟».

هزّ أوليڤر رأسه: «أجل.. وأنا لم أقل شيئاً، حتى حين قرأ ماركوس الوصية القديمة».

ثم تابع كلامه: «أردت أن أكلمك أولاً، لكنك اختفيت قبل أن تتاح لي الفرصة، ثم.. هذا الصباح..».

لكنه لم يرغب بمتابعة هذا الحديث أمامهما.

ـ إنها أمي.. وأعتقد أنني لم أرغب أن أكون مسؤولاً عن طردها من بيتها.

وكانت لاورا متسامحة..

ـ أنا.. أفهم.

لكن ستيلا لم تكن تريد شيئاً منها: «أصغوا إليها.. الآنسة المحتشمة الصالحة! لكنك ما كنت محتشمة ولا صالحة عندما تسللت إلى غرفة ابني!».

شحب وجه لاورا، لكن أوليڤر سمع ما يكفي، وصاح بوحشية:

ـ أقفلي الموضوع أمي.. فأنت ما زلت لا تعرفين ماذا فعلت.. فلولا تدخلك، لكنت الآن مع لاورا، لقد دمرت حياتي.. لقد دمرت حياتنا كلها.. ولن أسامحك أبداً على هذا».

* * *

١٢ ـ الماضي عدوي

جلست لاورا قرب نافذة شقتها في قرية «غرينويتش» تنظر إلى أشجار الحديقة العامة في الجانب الآخر من الشارع. كان الظلام قد ألقى بظله، وتسلل الشفق فوق العشب الطري.

وشعرت بأن المكالمة الهاتفية التي أجرتها منذ ثلاثة أيام تثقل كاهلها ومع أنها كانت تدرك أن ما تقوم به حماقة أخرى، اتصلت بأوليڤر لأنها كانت بحاجة أن تتكلم معه.. إذ لا يسعها الاستمرار في العيش مع هذا الفراغ من المشاعر..

لم يكن أوليڤر في البيت ساعة اتصلت. بل ردّ عليها توماس قائلاً إنه في إسبانيا يلتقط صوراً للثيران ولمصارعيها. وعندما سألها عما إذا كانت تودّ ترك أي رسالة، أكّدت له بحزم:

ـ ليس الأمر مهماً.

ثم انفجرت بالبكاء ما إن وضعت السماعة من يدها.

وأدركت أنها لم تتغلب على مشاعرها نحو أوليڤر بعد.. وهذا هو السبب الحقيقي لإحساسها باللهفة المترقبة الآن.. كم سيلزمها من وقت لتستعيد السيطرة على نفسها؟ وتتوقف عن التفتيش في كل صحيفة، أميركية أو إنكليزية، عن كلمة عنه؟ وكم سيلزمها من وقت حتى تستعيد حياتها الطبيعية؟

ولكنها لو لم تفتش في الصحف، لما رأت ذلك المقال عن ناتالي. على الأقل لن تضطر بعد اليوم لتصوره مع عارضة الأزياء الجميلة لأنهما افترقا، وناتالي اليوم مخطوبة إلى ثري يوناني وستتزوجه..

وراحت لاورا تفكر بتلك الليلة . . التي ظهرت فيها الحقيقة ، حقيقة علاقة ستيلا بزوج ديليز جايمس ، وهو الذي اتصلت به بعد الجنازة وليس بديليز . . ووجود الوصية الثانية . بدت الأحداث بعيدة عنها هنا في نيويورك . . وكأنها حدثت لشخص آخر . . وحتى الآن . . وبعد أربعة أشهر ، ما زالت عاجزة عن تصديق ما جرى تماماً .

ربما هذا هو سبب هربها إلى الولايات المتحدة . .

فالحياة هنا أقل تعقيداً بكثير . . وبكل تأكيد ، كان مات شديد السرور لعودتها . . ولم يكن مهتماً بما فعلته أرملة أبيها ، أو بمن يملك الآن بينمادوك ، فلديها عمل تؤديه ، وإذا لم ترغب في القيام به فسيجد من يفعل .

ولم يحاول أحد تغيير رأيها . . فعدا عن إبلاغها ماركوس قُبَيل أن هناك وصية أخرى ظهرت ، وهذا أمر قام به أوليڤر . . كانت كل مشاركتها في الأحداث أقل من قليلة . وبالرغم من عرضه تحمل المسؤولية عما حدث إلاّ أن لاورا لم ترغب أن تقوم بإجراءات قانونية ضد أوليڤر وأمه . .

غادرت ستيلا بينمادوك في الصباح الذي تلا الفضيحة ، وبمساعدة جاز جايمس ، انتقلت إلى شقة في روزماور ، وما زالت هناك . لقد توقعت ستيلا أن ترث بينمادوك ، ولو باعت المنزل لأصبحت امرأة ثرية جداً . لكنها ، عادت لتكون مجرد أرملة أخرى تعيش على معاش تقاعدي ، هو أقل بكثير مما كان جاز يتوقع .

التصقت شفتاها بأسنانها . . وتألم قلبها على ما عاناه والدها في الأشهر التي سبقت وفاته . . يبدو أنه كان يعرف أن ستيلا لم تكن مخلصة له ، لذا كتب الوصية الجديدة ، ولا بد أن اكتشافه لها مع رجل آخر تحت سقف بيته كانت القشة التي قصمت ظهر البعير .

بعد رحيل ستيلا ، تم الاتفاق على أن تستمر الخالة نيل في العيش في بينمادوك . . وأعطت لاورا خالتها كامل السلطة لتتصرف في غيابها ، وهذا يعني أن السيدة العجوز لن تضطر للرجوع إلى لاورا في مسألة المصاريف

اليومية لإدارة البيت . ويناسب هذا الأمر لاورا ، فعلى الرغم من حبها لهذا المكان ، فسيمضي وقت طويل قبل أن تتمكن من مواجهة فكرة العيش فيه مرة أخرى .

وغادر أوليڤر إلى لندن ما إن انتهت الرسميات . . وفكرت بسخرية «ليعود إلى ناتالي» ، ولكن الأحداث التي تلت رمت ظلالاً من الشك على مثل هذه الفرضية . . على أي حال لم يقدم أوليڤر أي تفسير ، وسافرت إلى نيويورك دون أن تتكلم معه على حدة . وتساءلت عما إذا كان سيتصل بها ، فقد زودت خالتها بعنوانها وقالت لها إنها لا تمانع أن يأخذه أوليڤر في حال طلبه . . . لكنها عادت منذ ما يقارب الأربعة أشهر ، ويبدو أن أوليڤر نسي أمرها .

ثم قرأت المقالة عن ناتالي وقالت في قرارة نفسها إن الأمر لا يعنيها ، لا سيّما أن أوليڤر مفطور القلب على الأرجح لانفصاله عن عارضة الأزياء ، وقد يفسّر أي تدخل منها على أنه تطفّل . . . ولكن عندما بدأت تتذكر ما قاله لأمه تلك الليلة في مكتب أبيها ، تغيرت نظرتها إلى الأمور ، وافترضت أن أوليڤر ربما يعتقد أنها لا تريد التكلم معه . . فهي لم تعطه أي تشجيع ليصدق أنها تريد الإصغاء إلى أي شيء سيقوله . . فبعدما جرى في غرفتها في الفندق ، وما حدث وهما في الطريق إلى بينمادوك فلا بد أحس أنه يقاتل في معركة خاسرة أمام عدو هو الماضي .

ولهذا أجرت تلك المخابرة . . لكن . . أوليڤر لم يكن موجوداً ، فقد كان مشغولاً جداً في متابعة حياته . . ولو أنها تتحلى ببعض الذكاء ، لفعلت مثله .

مرت سيارة أجرة في الشارع تحتها ، وراح السائق والراكب الذي معه ، يتطلعان إلى أرقام المباني ، يفتشان عن عنوان معين . . وأبطأت السيارة أمام منزلها . . . ثم تابعت تحركها نحو الأمام ، مبدّدة بذلك كل أمل لها بأن يزورها أحد . . . ولكن من قد يأتي لرؤيتها؟

وعادت سيارة الأجرة . . وخمنت لاورا أن السائق أوصل الراكب ،

ويأمل أن يلتقط راكباً آخر يعيده إلى مانهاتن، ويا للغرابة! توقفت السيارة خارج المبنى الذي تسكنه، وانفتح الباب الخلفي ليخرج منه رجل.

أوليفر!

تعثرت لاورا بالمقعد وكادت توقع قهوتها عن النافذة. هذا ما كان ينقصها! أن يراها ضالة حزينة تنتظر من يلاحظ وجودها.. المفترض أنها تعيش حياة سعيدة في نيويورك.. فماذا سيعتقد إذا وجدها تمضي أمسية وحيدة تفكر بأحداث الماضي؟

وهل تهتم؟

وعادت نحو النافذة، تستخدم الستائر الحريرية كحاجب بينها وبين ما يجري في الخارج.

وما إنّ رنّ جرس الباب، حتى اجتازت غرفة الجلوس وفتحت الباب المؤدي إلى السلم الذي ينتهي بباب خارجي كبير.

للمرة الأولى، لم تنظر عبر ثقب الباب لتعرف من الزائر، بل تنفست بقوة لكي تهدىء أعصابها، ثم فتحت الباب ودعته للدخول.

قال: «مرحباً..».

وارتسمت على شفتي لاورا ابتسامة خفيفة وهي تغلق الباب وراءه، وردت بصوت أجش: «مرحباً. هل تريد الصعود؟».

أخذ أوليفر نفساً عميقاً: «ولمَ لا؟».

وتراجع إلى الخلف يشير بيده إلى السلم: «من بعدك».

لكن لاورا كانت تفضل أن تلحق به.. إذ بدا رائعاً ببنطلونه الأسود وكنزته السوداء أمّا هي فكانت ترتدي بنطلوناً قصيراً وكانت حافية القدمين.

لكن الخجل الآن لن يوصلها إلى مكان.. فاستجمعت قواها، وأسرعت تصعد السلم أمامه.

توقفت لاورا وسط غرفة الجلوس.. وأحست بركبتيها ترتجفان.. وودّت لو تتهالك في المقعد المخملي.. لكنها أدركت أنها لن تتمكن

من الجلوس بهدوء، ما لم تعرف سبب مجيء أوليفر.

قال أخيراً: «مثير للإعجاب».

ودخل الشقة ليغلق الباب خلفه، ونظر إلى نور الأضواء المشعة.

ـ وهذا مكان رائع لإقامة استديو.

ـ أعتقد هذا.

وتساءلت لاورا ما إذا كان متوتر الأعصاب مثلها، لكنها خلصت إلى أنه ليس كذلك، وإلاّ لما ضيّع الوقت في الحديث عن شقتها.

ـ أنت تعرف عن هذا أكثر مني.

اشتد ضغطه على شفتيه لحظة، ثم قال: «أجل.. أجل.. أعتقد أنني ضليع في مثل هذه الأمور».

أجبرت لاورا نفسها على الابتسام: «أنت متواضع جداً».

هز كتفيه: «هل أنا هكذا حقاً؟ لن أراهن بمالي على هذا».

سألت لاورا: «هل أستطيع.. هل أقدم لك شيئاً؟ قهوة مثلاً أو شراباً؟».

ـ وهل لديك عصير؟

ـ أعتقد هذا.

ثم أسرعت إلى المطبخ الصغير وفتحت البراد.

ـ هل تفي زجاجة مرطبات بالغرض؟

تقدم إلى النافذة: «أي شيء.. منظر جميل».

وخرجت من المطبخ تعطيه الزجاجة.

ـ تفضل.

ـ شكراً.

ابتعد عن النافذة ليأخذ الزجاجة منها وما إن تلامست أصابعهما حتى سحبت لاورا يدها فوراً ولكنها لم تستطع منع نظرتها من تأمله.. وكانت المرة الأولى التي تنظر فيها إلى عينيه منذ دخل الشقة.. وأحست بأنفاسها تنخطف وبنبضات قلبها تتسارع. قال بصوت أجش.

ـ لماذا اتصلت هاتفياً؟

كررت: «لماذا.. لماذا اتصلت؟ ولماذا تظن أنني اتصلت؟».

ـ أوه.. لا.. أنا سألت أولاً.

ثم أخذ نفساً عميقاً: «هل من خطب؟».

توترت ملامح لاورا، ولكنها استطاعت السيطرة على نفسها.

ـ وأي خطب قد يطرأ؟.. هل قال لك توماس إنني قلت إن ثمة خطباً ما.

أغمض أوليڤر عينيه لحظة، ثم فتحهما: «لماذا تفعلين هذا لاورا؟ إنه سؤال بسيط، أريد أن أعرف لماذا اتصلت.. ما الأمر؟ أم أنك ندمت على اتصالك؟».

ابتلعت ريقها: «لا! لا.. بالطبع لا».

ـ إذن لماذا اتصلت؟ يجب أن أعرف، أحتاج أن أعرف.

أطلق تنهيدة: «ألا يمكن أن تقولي لي ما إذا كنت قد ارتكبت غلطة حمقاء أخرى بمجيئي إلى هنا؟».

قالت بسرعة: «لا.. إطلاقاً».

ثم وقبل أن تفقد شجاعتها أضافت: «أنا.. سعيدة لمجيئك».

ـ حقاً؟

لم يبدُ عليه أنه صدقها، وأسرعت تؤكد له: «أجل.. أجل.. أنا سعيدة.. أردت رؤيتك..».

صمتت لحظة، خشية أن تقول أكثر ممّا يلزم: «أنا.. أردت أن أقول لك كم أنني آسفة لما حصل بينك... وبين ناتالي».

بدت الدهشة وعدم التصديق في ملامحه.

ـ أنا وناتالي؟ أنت لست جادة؟

حاولت أن تبدو مقنعة: «ولِمَ لا؟ قرأت عن خطوبتها إلى مالك سفن يوناني في الصحيفة».

ورفعت كتفيها: «لقد انفصلتما».

نظر إليها لحظات طويلة، ثم رمقها بنظرة ازدراء وقال:

ـ اتصلت لتواسيني بشأن ناتالي؟ يا الله! شكراً لك.

ارتجفت لاورا: «لا تكلمني هكذا.. ما كنت أعرف ما هو شعورك في هذا الشأن».

ـ ألا تعرفين؟ ألا تعرفين؟ كوني واقعية لاورا.. تعرفين بالضبط ما هو شعوري بهذا الشأن.

ـ لكنني لا أعرف.

ودست يديها في جيبي بنطلونها القصير لتخفي ارتجافهما عنه: «أنا لا أعرف شيئاً».

تكوّر فم أوليڤر، واستدار ببطء شديد ليضع الزجاجة على المقعد قرب النافذة وراءه ثم استدار مجدداً، وقال بصراحة: «وهل من المفترض أن أصدق هذا؟».

ـ أجل.. أجل.

ـ حسن جداً.. وماذا تظنين أنني أفعل هنا؟

نظرت إليه، فبدا لها متعباً إذ رأت التجاويف تحت عينيه.

وكورت قبضتيها، وقالت: «لست أدري.. وهل أدري؟ ربما لديك مهمة تصوير في نيويورك.. وربما فكرت أن.. تسأل عني».

هز رأسه: «أوه.. حقاً.. كان هذا مناسباً جداً.. أليس كذلك؟ مهمّة في نيويورك، تأتي مباشرة بعد ثلاثة أيام من اتصالك».

ـ قد يحدث هذا.

ونظر إليها يائساً وقال: «لا.. كنت في سوڤيل.. وكان يجب أن أبقى هناك.. لكنني عدت».

حدقت لاورا به مشدوهة: «أنت.. عدت.. من أجلي؟».

قال بنفاد صبر: «أجل.. عدت من أجلك.. بحق الله لاورا.. ظننت أن شيئاً قد حدث.. ظننت أنك بحاجة لي».

ـ أوه.. وأنا فعلاً بحاجة إليك.

كانت صيحة لاورا نابعة من القلب.. ونظر أوليفر إليها بعينين معذبتين.. وسأل بصوت أجش: «وهل تعنين هذا؟».

وعرفت أنها لن تستطيع المراوغة أكثر.

قالت بصوت أجش: «أجل.. أجل.. أعني ما أقول».

قال غير مصدّق: «يا إلهي لاورا..».

ثم أكمل: «لماذا هذا العذاب كله؟ ألا تظنين أنني عانيت ما فيه الكفاية؟».

ولم تستطع لاورا أن تتكلم.. فبعد أن دمرت أمه سعادتهما وعاش كل منهما حياة طويلة من الإذلال والعذاب، بدا كل شيء ممكناً الآن.

وذابت الهواجس الأخيرة في دوامة الحب الذي أغدقه عليها، ولم تستطع أن تصدق أنها منذ بضع دقائق، كانت تشعر باليأس والفراغ يملآن حياتها.

تمتم في أذنها: «أتعرفين... كنت خائفاً... وقلت لنفسي إنني أخاطر بمجيئي إليك فأنا لا أعرف إذا كنت تريدين رؤيتي حقاً، والتكلم معي».

ـ تتكلم؟ عن ماذا؟

ـ أخبريني أنت.

ـ عن ناتالي.

وتسارعت أنفاسه وتابع: «هل تريدين أن أخبرك أنني منذ رأيتك مجدداً، لم يعد في حياتي مكان لأي امرأة أخرى؟».

أومأت برأسها مرتجفة، وقالت متحدّية: «أجل.. أجل.. أحتاج أن تخبرني هذا».

ـ حسن جداً.

ثم قال: «لقد قلت لك. هل من شيء آخر؟».

ارتجفت لاورا: «هل عنيت.. ما قلته تلك الليلة في بينمادوك؟».

تأوه: «أجل.. عنيته.. عنيت كل كلمة قلتها لك يوماً يا حبيبتي..

أحبك.. وأعتقد أنني أحببتك دوماً.. كنت غبياً جداً لأنني لم أفعل شيئاً بهذا الخصوص قبل الآن».

وأحسّت بالدموع تنهمر على خديها، لكنها لم تستطع منعها، وقالت له: «أنا أحبك كثيراً... كثيراً».

لانت عينا أوليفر: «إذن..».

ـ هناك أشياء أخرى يجب أن نتكلم عنها.

أغمض عينيه للحظة: «أي أشياء أخرى؟ تعنين الأولاد؟».

ـ أنا لا أعني هذا.. أودّ أن أقول لك إن ما من شيء يضاهي خسارتي لك.

ـ أوه.. حبيبتي.

ـ لا.. دعني أنهي كلامي.. أريدك أن تعرف أنني لم أعد ألومك على أي شيء، كنا صغاراً، وأدرك هذا الآن.. وفي هذا على الأقل، كانت أمك على حق..

ـ أمي..

ـ أجل أمك.. ولن تكون مسرورة لنا.

ـ وهل يقلقك هذا؟

هزّت رأسها: «قليلاً».

ـ حسن جداً.. لا تدعي هذا يقلقك.. حين تقرر أمي أن لديها شيء تقوله لي، فستقوله في الوقت الذي أختاره أنا وهي.

وصمت قليلاً: «لقد اتفقنا منذ تركت بينمادوك ألاّ تتدخل في حياتي والا أتدخل في حياتها».

التوت شفتاه: «كانت متأكدة بالطبع، أنك لن تكلميني ثانية.. وأوشكت أن أصدّقها لو لم يتصل بي توماس إلى اسبانيا ويبلغني أنك اتصلت».

ـ أوه.. أوليفر..

وتابع أوليفر قائلاً: «هذا صحيح.. أعتقد أنني كنت مذنباً لأنني

أصغيت إلى أكاذيبها . . لكن علي أن أعترف ، أنها كانت على حق» .

ـ وكيف تعتقد هذا؟

وظهر الارتياع على لاورا . . وتردّد أوليڤر في الشرح .

ـ كنت واثقاً أنك ستحاولين رؤيتي قبل سفرك ، فقمت بتأجيل هذه المهمّة إلى إسبانيا ، ريثما تتصلين بي .

ـ لكنك غادرت پينمادوك ما إن رتبت الأمور مع السيد ڤيننغ . . وعدت إلى لندن ، إلى ناتالي ، كما اعتقدت . . وإلى ما هنالك؟

قال ببساطة : «حاولي أن تتصوري كيف كنت أشعر . . أنا وأمي دمرنا حياتك . . . وكنت واثقاً أنك لن تصدقي شيئاً مما سأقوله لك» .

هزت لاورا رأسها : «وأنا اعتقدت أنك تستغلني لتبرهن لنفسك أنني لم أتغلب على حبي لك» .

ـ كم تمنيت ذلك .

رفعت إليه عينين حذرتين : «حقاً؟» .

ـ أنك لن تتغلبي على حبي؟ بالطبع . . فأنا من البشر .

عضّت لاورا شفتها السفلى : «يا ليتني عرفت!» .

ورمقها بنظرة رقيقة : «لماذا؟ لقد ظننت أنك تكرهينني . . أقلّه لفترة» .

ردّت بصدق : «لم أكرهك يوماً . . لكنني كنت ممتعضة منك . . امتعضت من الطريقة التي تمكنت فيها من جرح أحاسيسي لكنني لم أكرهك يوماً» .

عبس أوليڤر : «لكن حين تزوجت نيل . . » .

ـ ماكان يجب أن أتزوجه .

وتنهّدت : «عرفت هذا حين جئت لتحضر الزفاف . وأعتقد أنني كنت آمل أن أتخلص منك ، وأن أحاول أن أثبت لنفسي أنني لا أهتم بنجاحك من دوني» .

ولامست يده الدمع الذي انذرف على خديها : «أن أنجح في عملي لا

يعني أن أنجح في حياتي» .

وابتسم : «في الأشهر الأخيرة ، أدركت أنني أمضيت حياتي أبحث عن شيء . . عنك أنت . . ومنذ أن التقينا من جديد فقد كل شيء أهميته في نظري» .

ـ أنت لا تعني هذا .

ـ ألا أعنيه؟ حسن جداً . . أعتقد أنني فخور ببعض أعمالي لكنها لا تعني شيئاً إذا لم يشاركني فيها أحد ، لاورا . . أنت وحدك .

تراجع إلى الوراء ينظر إليها : «هل تتزوجين بي؟» .

فغرت لاورا فاها : «أتزوجك؟ أوه . . أوليڤر . . » .

ظنها على وشك الرفض : «لا . . لا . . انتظري . . أعرف أن عملك بالنسبة إليك . . . » .

ـ أوليڤر . .

ـ . . وكما قلت من قبل . . إذا كنت تفضلين البقاء في نيويورك ، فأنا مستعد لأعيش هنا .

ـ أوليڤر ، أصغ إلي . .

ـ لست أدري كيف سيتلقى توماس هذا طبعاً . . لكننا سنواجه هذه العقبة حين نصل إليها . . طالما نحن معاً . .

قاطعته لاورا مقطوعة الأنفاس : «أجل . . طالما نحن معاً . . أوليڤر حبيبي ، بالطبع سأتزوجك وسأعيش في أي مكان يعجبك أنت» .

بدا مصدوماً : «حقاً؟» .

واشتعل الحب العاصف بينهما . . لكن هذه المرة حاول أن يحافظ على هدوئه : «و . . وعملك؟» .

اعترفت بصوت ناعم : «لقد فكرت بالأمر . . ولقد ناقشت أمر العمل مع عم كونور ، لأنني كنت أنوي العودة إلى جذوري يوماً ما ، وفكرت أن أعيش مع الخالة نيل في پينمادوك . . لكنني أفضل كثيراً أن أعيش في لندن معك» .

وابتسمت: «ويمكننا أن نستبقي هذا المكان إستديو إضافي.. وقد يكون من الرائع العودة إلى هنا في بعض الأوقات للذكرى».

ـ أتعنين هذا؟

وابتهج أوليڤر.. بينما قالت لاورا وهي ترمقه بنظرات ملؤها الحب: «حسن جداً.. في يوم ما قد نعود إلى پينمادوك.. أريد أن أحمل طفلك، والجو هناك أفضل بكثير من جو المدينة».

قال برقة: «طالما أننا معاً.. فأنا لا أنوي أن أخسرك مجدداً».

***

WWW.ROMANCIA.COM